15

مأساة الهند الصينية ـ بداية النهاية

خنق فيتنام

كتب لورنس دريل يقول: إن كل فرد يتمتع باحتياطي من الشجاعة أو الالتزام يعد، مهما بلغ من العمق، غير قابل للاستهلاك ولا قابل لأن يملأ مرة أخرى. وهذا ما حدث للولايات المتحدة فيما يتعلق بالهند الصينية في عام 1975، بعد عامين من اتفاقية باريس لإنهاء الحرب، إذ كانت المثالية قد دفعت بأمريكا إلى الهند الصينية، وحملها استنزاف الطاقات على الخروج.

لقد كرست الولايات المتحدة عقدين من هدر الدم وإنفاق المال لمساعدة مجموعة من المجتمعات التي استقلت حديثاً، والتي كانت ضعيفة كفرخ الطائر ولتجنبها أيضاً الغزو من قبل جارتها الشيوعية التي لا ترحم والتي هي أكثر قوة من الناحية العسكرية، في فيتنام الشمالية. ومع ذلك فعندما تعرض للتحدي السلام المُقلق الذي تم التوصل إليه بموجب اتفاقية باريس، لجأت الولايات المتحدة في غمرة الآلام المفاجئة الناجمة عن التراجع المادي والنفسي، إلى قطع المعونة العسكرية والاقتصادية عن الشعب الذي كنا منحناه كل التشجيع ليعتمد على حمايتنا. وقد أسلم هذا أولئك الذين جعلنا منهم أناساً قاصرين تحت وصايتنا إلى غزاة شيوعيين لا سبيل إلى ردهم أو تخفيف وطأتهم ـ كما أسلمهم في كمبوديا إلى غازٍ شيوعي يعمل بأسلوب الإبادة الجماعية.

على أن مرور الزمن قد خفف شيئاً من آلام تلك الشهور الكئيبة. ومع ذلك فما زالت الطريقة التي كانت الهند الصينية تدفع بها إلى الانهيار في عام 1975 تثير لدي شعوراً كأنني أغوص في الوحل، وهو شعور يتألف من أجزاء متساوية من الحزن على الضحايا الذين تم التخلي عنهم والكآبة والسوداوية حيال ما فعلت أمريكا بحق نفسها. ولن أستعرض هنا القرارات التي سبقت الكارثة النهائية، فالمراجع التي تتعلق بهذه تغطي رفوفاً بأسرها في المكتبات، ولقد تطرقت إليها على نحو منفصل في مكان آخر[1] ثم إن الجانب الخصوصي الذي يحطم القلب في النهاية الحاسمة إنما نجم عن الاقتناع بأن مداولات سنين كينيدي وجونسون ونيكسون يفترض أن تكون غير ذات علاقة بالموضوع اعتباراً من ذلك الوقت. ولما كان يفترض في الاتفاقية أن تنهي الحرب في كانون الأول 1973، مهما كانت وجهات النظر الخاصة بالحكمة

مـن شـن الحرب أو كيفية تسيير دفتها، فقد كنا مدينين تجاه شعوب فيتنام الجنوبية وكمبوديا التي وقفت إلى جانبنا بالمعونة الاقتصادية والعسكرية التي لن تتاح لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم من دونها.

وبدلاً من ذلك كانت الولايات المتحدة تبدو وكأنما استحوذ عليها فجأة هاجس جماعي ألا وهو إقصاء ماضٍ كان في الحقيقة لا مهرب منه وقد انهمكت في القضاء على شهوده من حلفائنا السابقين. أما مسألة أن فيتنام الجنوبية ولاغوس وكمبوديا كان يمكن لها النجاة والبقاء بجهودها الخاصة إلى أجل غير محدود لـو أنهـا تلقت المعونة الموعودة بها، فذلك ما لن يعرف أبداً. وليس هناك شك في رأيي في أنه لو وجد أي شـيء قريـب من المستوى الكافي من المعونة الأمريكية لما انهارت هـذه البلدان في عام 1975، أما كيف حدث هذا وكيف طرح الإخفاق التام النهائي نفسه على مستوى السياسة في واشنطن، وكيف تمت معالجته من قبل الرئيس الذي ورث المشكلة، فذلك هو موضوع هذا الفصل.

ويـكاد يكـون من المستحيل إعـادة إنشاء الحالة النفسيـة السائدة في تلك الفترة. أمـا أولئك الذين عاشـوا فيها، فلابـد أن تبدو لهم كل رواية في حالة تمزق وشذرات، وأمـا أولئك الذين تمت صيانتهم من اضطراب ذلك الزمان فمن الممكن أن تبدو لهم الأهواء غير ممكنة الفهم على نحو شامل. وجاءت النهاية إلـى الهند الصينية كمـا تجيء في تراجيديا إغريقية حيث تسوق الرؤساء طبائعهم ذاتها لتحقيق قدرهم في بعض الأحيان في معرفة مسبقة كاملة منهم بالألم الذي ينتظرهم. وفي الهند الصينية كانت الطريقة التـي وجـه بها الممثلون الرئيسيون أنفسهـم في العقد السابق تصوغ أفعالهـم وإجراءاتهم في عام 1975 بصـورة نهائية. وكانت الخيارات التي اختاروها في النهاية، تعديلات لخيارات صمموها قبل سنوات. وما كان قد بدأ في شكل جدل فلسفي في الغالب حول ما يمثل شرف والأمة انتهى في صورة مداولة تقنية حول شكليـات التخليـص من المحنة، حتـى الرئيس الأمريكي الجديد، هو في الواقـع العامل الحر الوحيد بين الرؤساء انتهى إلى أن يفهم أنه لم يكن هناك مخرج سهل غير مكتشف حتى الآن، من هذا المستنقع، ومع افتراض ما مضى قبل ذلك، كانت المأساة قد أصبحت لا يمكن تجنبها، ببساطة.

وإذا مـا استعدنا الأحـداث الماضية وأمعنا النظر فيها يتضح لنـا أن الستار الوردي الذي أسدل على الفصل النهائي في اليوم ذاته الذي بدا فيه أن السلام قد جاء إلى الهند الصينية، يعد مدة لحظة عابرة من الزمن.

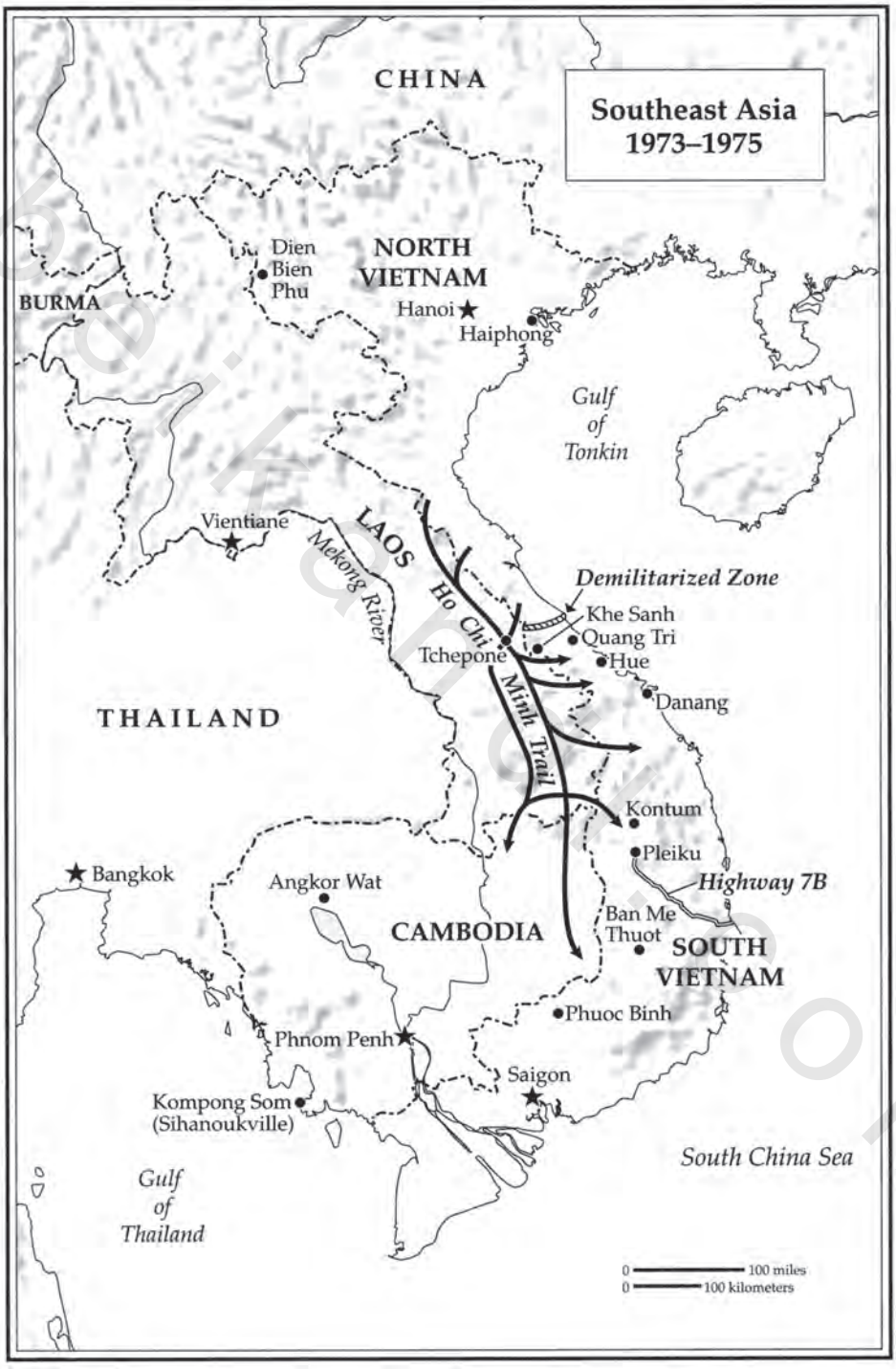
Southeast Asia
1973–1975
CHINA
NORTH VIETNAM
Dien Bien Phu
BURMA
Hanoi
Haiphong
Gulf of Tonkin
Vientiane
LAOS
Mekong River
Ho Chi Minh Trail
Demilitarized Zone
Khe Sanh
Quang Tri
Tchepone
Hue
Danang
THAILAND
Kontum
Pleiku
Highway 7B
Bangkok
Angkor Wat
CAMBODIA
Ban Me Thuot
SOUTH VIETNAM
Phuoc Binh
Phnom Penh
Saigon
Kompong Som (Sihanoukville)
South China Sea
Gulf of Thailand
0 100 miles
0 100 kilometers

في 24 كانون الثاني، 1973[*] اختتمت تصريحاً إعلامياً للبيت الأبيض حول اتفاقية باريس بمد غصن الزيتون إلى ناقدينا :

ينبغـي أن يكـون واضحاً منذ الآن أنه ما من أحد في هذه الحرب كان يتمتع باحتكار الألم، وأنه ما من أحـد في هذه المناقشـات كان يتمتع باحتكار البصر النافذ في مسألة الاختلاف. ولما كنا قد أنجزنا آخر الأمر اتفاقيـة لم ترسم فيها الولايات المتحدة معالم المستقبل السياسي لحلفائها، وهي اتفاقية يفترض أن تحفـظ الكرامة واحترام الذات لـكل الأطراف، بالإضافة إلى التئام الجروح فـي الهند الصينية، فقد بات في وسعنا أن نشرع في شفاء الجروح في أمريكا.

وحيـن كنـت أتحدث لم يكن قد تبين لي أن ووتر غيت التي كنت ما أزال غير مطلع عليها، كانت تستبق إغـلاق أبواب الأمل في الشفاء في الولايـات المتحدة ، بينما كان تصميم الولايات المتحدة الذي لا سبيل إلـى تخفيف حدته في فيتنام، على الانتصار، يحول اتفاقية السلام إلى فترة استراحة وجيزة قبل تجديد الانقضاض.

وقـد كنـا نؤمل ـ بسذاجة ـ كما تبين لنا، أن نحقق اتفاقية باريس ووحدة الشعب الأمريكي، لأن حركة السلام ستكون قادرة على الظفر بالرضى من خلال إنهاء الأعمال العدائية، ولأن المدافعين عن «السلام المشـرف» سيستطيعـون أن يفخروا بأنهم خلصوا الولايات المتحدة مـن دون أن يفسدوا ثقة حلفائنا بنا. كمـا كنا نأمل أن يوحـد الخصوم السابقون صفوفهم بعـد انسحابنا من فيتنـام وراء الفرضية التي تفيد أن شعـوب فيتنـام الجنوبية ولاوس وكمبوديا المعدة للمعركة، كانت مؤهلـة، على الأقل، لاستمرار المعونة الاقتصاديـة والعسكريـة بموجـب الاتفاقية. ولم يكـن مقدراً لهـذا أن يحدث. فبعد كل مـا حدث، وربما كان مـن الممكـن أن لا يكون، كانت الجراح قد باتت عميقة إلى حد لا يحتمـل، على كلا الجانبين، وكانت ووترغيـت تقدم الذريعة، غير أن الميراث الذي ورثناه عن عقد الصراع المدني كان هو الذي هيأ الدافع. وكانـت الحركة التي سميت حركة السلام قد انبثقت من البحث عن نهاية الحرب من أجل معالجة حالات الإحبـاط الأمريكـي في الهند الصينية من حيث كونها علائم على تدهـور المعنويات،كانت في حاجة إلى أن يتـم استئصالهـا بجذورها و فروعها، وكان المبدأ الذي يثبت الروح فـي سياسة أمريكا الخارجية بعد عـام 1945 ــ وهو أن الولايات المتحدة لديها التزام بحماية الشعوب الحرة ومساندتها ـ قد تحول، بسحر سـاحـر، فـي أيدي الثقافة المضادة الجديدة، إلى رمز للغطرسـة والحكم المسبق في مجتمع فاسد[2]. ثم إن الانهيار الشامل في الهند الصينية غير الشيوعية، على الرغم من نضال ثلاث من الإدارات الأمريكية، للحيلولة دون حدوث ذلك باسم الأمن القومي، كان، بالنسبة لهذا الرهط، شيئاً لا يقل عن تنفيس مرغوب

(❖) كانت اتفاقية باريس بمبادرة مني ومن لي دوك تو في 23 ك2، 1973، وقد وقع عليها وزراء الخارجية في احتفال علني في 27 ك2.

فيـه (catha6sis). علـى الصعيد القومي، وكان قد تم إدخالي في فيتنام بحلول خريف عام 1965، عندما دعانـي السفيـر هنري كابوت لودج للخدمة بصفة مستشار له، وعلـى الرغم من كونه متمرساً في الحرب البـاردة فقـد أصبحـت مقتنعاً، بعـد أسابيع قلائـل قضيتها في البلاد بـأن هذه الحـرب لا يمكن كسبها بقواعـد الالتزام التي تسمـح لرجال العصابات باختيار ميدان المعركة وتقريـر مدى حدة القتال[3]. ولما لـم يكن هناك خطوط للجبهة داخل فيتنام الجنوبية، ولما كانـت إدارة جونسون ترفض تعقب العصابات داخـل المناطـق المحرمة وراء الحدود، في لاوس وكمبوديا، فقـد دعوت إلى التوصل إلى نتيجة عن طريق التفاوض.

وفـي أواخر عـام 1967، عَهِدَ إلي الرئيس جونسون بمهمة دبلوماسيـة استطلاعية، مع استخدام أحد معارفي الفرنسيين وسيطاً، وكان «هوشي منه» قد أقام لدى هذا في عام 1946، أثناء التفاوض مع فرنسا. وانتهـت المسألة، كمـا كان مقدراً لكل المبادرات الدبلوماسية الأمريكية تجـاه المحاربين ذوي التصميم العنيد القادمين من هانوي. وذهب ريمون أوبراك بالفعل إلى هانوي، واستقبله «هوشي منه» الذي صدرت عنـه كلمات قليلة، غامضة ملتبسـة، فُسِرت في واشنطن على أنها إشارات إلـى رغبة في التفاوض ولكننا نعلـم الآن أنهـا كانت مصممـة من أجل التهدئـة المؤقتة للولايـات المتحدة قبل الهجوم فـي رأس السنة الفيتنامية الجديدة، أي بعد ذلك بشهور قلائل.

وكان الاستراتيجية التي تبنتها إدارة نيكسون قد آذنت بها مقالة كنت كتبتها لمجلة «الشؤون الخارجية» حين كنت أستاذاً في جامعة هارفارد، ولكنها لم تنشر بالنظر إلى الوقت الطويل اللازم للتحضير والإعداد للنشر، إلا بُعَيد تعييني مستشاراً للأمن القومي، وكنت أحث فيها على معالجة القضايا العسكرية منفصلة عن القضايا السياسية. وقلت إن القضايا العسكرية سيتم التفاوض عليها بين الولايات المتحدة و الأحزاب الفيتنامية مما يؤدي إلى وقف إطلاق النار، وانسحـاب القوات الأجنبية، وتبادل السجناء، وفرض القيود علـى عمليات التسليـح، وستبادر الأحزاب السياسيـة عندئذ إلى عملية سياسية ستكـون بها شعوب الهند الصينية قادرة على تقرير مستقبل بلدانها.[4]

تبنّـى نيكسون هذا النهج، وأصبح الأساس للتسوية النهائيـة. وعلى كل حال فقد ظلت هانوي ترفض، رفضـاً شامـلاً، أي نتيجة لا تقرر، سلفاً، انتصاراً شيوعياً. ولم تتغيـر شروط هانوي نهائياً حتى 8 تشرين الأول، عـام 1972 عندمـا حدث الاختراق أخيراً. ولم تكن الشروط تتغيـر مهما عدَّلنا من شروطنا، بينما ظلـت هانوي تقنـع المحتجين الذين تسهـل مخادعتهم بأنه لم يكـن يقف في طريق التسويـة التي يسهل الوصول إليها سوى الإدارة الأمريكية المتعطشة للدماء. وكانت شروط هانوي التي لا تتزحزح هي أن تلتزم الولايـات المتحـدة في بداية أية مفاوضات، بموعد نهائي ثابت لانسحـاب القوات الأمريكية. ويضاف إلى ذلك أن هذا البرنامج سيظل ثابتاً بالنتيجة. بصرف النظر عما يحدث في المفاوضات بالنظر إلى القضايا

الأخـرى، أو علـى الجبهة العسكرية. وفي الوقت ذاته كانت الموافقة علـى مسودة هانوي خليقة أن تترتب عليهـا الاستعاضـة عن «حكومة الدميـة» الأمريكية في سايغون، والتي يرأسها نجويـن فان ثيو. بـ «حكومة الائتلاف» التي تتألف من الشيوعيين وممثلي القوة الثالثة، الضبابية الغامضة، التي يفترض أنها محايدة، وبقايـا إدارة ثيـو، وسوف يتولى، بالنتيجة، هـذا الائتلاف المكوّن، جزئياً، مـن الشيوعيين، والمجرد من السـلاح، والمقطوع الرأس، التفاوض، في غياب القوات الأمريكية، على تسوية نهائية مع الحكومة الثورية المؤقتة، الشيوعية(*) بأكملها، أي الحكومة الثورية المؤقتة. كانت وصفة فجة للاستسلام.

ولم نحقق نجاحاً قط، خلال السنوات الأربع من المفاوضات، في أن نستحصل من لي دوك ثو (عضو المكتب السياسي، وكبير المفاوضين في فيتنام الشمالية)، على اسم واحد من أصحاب البزات الرسمية من سياسيي فيتنام المعروفين الذين يمكن أن يثبتوا أنهم مقبولين لدى هانوي ليمثلوا عناصر «قوة ثالثة» مـن الائتلاف المقتـرح، ولما تجردت هانوي من كل مـا تتستر به كل التجرد، وصلـت شروطها إلى درجة انسحـاب القـوات الأمريكية غيـر المشروط، مع اقتـران ذلك بالإطاحة ــ من قبَلنا ــ بحكومة متحالفة مـع الولايـات المتحدة، ليكون مـن الممكن تسليم فيتنـام الجنوبية للشيوعيين. ولم يكـن نيكسون، ولا أنا مستعديـن لإنهاء التـزام أمريكا تجاه فيتنام ، الـذي ورثناه عمن سبقنا، بخيانـة الملايين الذين وضعوا ثقتهم في بلادنا.

وعندما لم نستطع أن نحقق انسحاباً متفاوضاً عليه، نفذنا من برامجنا قدر ما كان ممكناً، من جانب واحـد، مـع تدعيم القوات الفيتنامية، وسحب ما يزيد على نصف مليـون من القوات عند نهاية فترة ولاية نيكسـون الأولـى وخفض عدد القتلـى والمصابين، المعـروف، من معدل يبلغ 1.200 فـي الشهر، في عام 1968، إلـى أقل مـن ثلثين في عام 1972، ومع حلول عام 1973، لم يكن قـد تبقى من القوات في الفيتنام سوى ثلاثين ألفاً من الأمريكيين، إذ ما عادوا ملتزمين بالقتال الأرضي. وكانت كل خطوة على هذا الطريق تلقى معارضة حارة وفي بعض الأحيان عنيفة، من قبل حركة السلام التي كان خيارها الوحيد، في مقابل سياستنا، هو الانسحاب من جانب واحد، في مقابل أسرانا.

وهكـذا تـردت مناقشتنا الداخليـة، على الرغم ممـا كان يغَشّيها من سحب البلاغـة التي تهب الحق لأهلهـا وحدهـم، مـن دون سواهم، إلى مستـوى القضية الواحـدة، المستقيمة نسبياً، أمـا إدارة نيكسون فلـم تكـن تعتقد أن مما تبيحه الأخـلاق، ولا الحصافة أو الحكمة، بالنسبة للأمـة الرئيسية في الائتلاف الديمقراطـي، أن تستعفـي وتستقيـل، ببساطة عن طريق الإطاحـة بحكومة حليفة. وكانـت حركة مناوأة الحـرب تحتج بنقيض ذلـك تماماً : وهو أن مثل هـذا الاستعفاء يطهر الولايات المتحـدة من غطرستها،

(❖) الحكومـة الثوريـة المؤقتـة لجمهوريـة جنوب فيتنـام (PRG) لم تكن إلا تجسيـداً (لجبهة التحريـر الوطنيـة) NLF أو الفيتكونغ – أي الشيوعيين في فيتنام الجنوبية.

والإدارة الأمريكيـة من تعطشها إلى الدماء، وأن الطرف الثاني هو الذي يشكل العقبة الحقيقية في طريق السلام، وليس تصلب هانوي أو عنادها.

وفي تشرين الأول 1972 تراجعت هانوي عن فرط شروطها بالقوة، وقبلت بالشروط التي كان نيكسون قـد طرحهـا علانيـة في 25 كانـون الثاني، (وبشكل سـري في أيـار 1971) – وذلك قبل تسعـة أشهر من انتخاباتنـا الرئاسية. وهي : استمرار حكومة سايغون، ووقف إطلاق النـار، والانسحاب الأمريكي، وإنهاء التسلل والتعزيزات من فيتنام الشمالية، وعودة الأسرى، واستئناف الحوار السياسي بين الأطراف.

ولـم تكـن لدينا أوهام بصدد ما طرحناه أمامنا، إذ لم أكن، أنـا، ولا نيكسون، نعتقد أن عناد هانوي، وقادتهـا المتعصبين قد تخليـا عن كفاح العمر. وأنذرت نيكسون أثناء الطور النهائي من المفاوضات، في عـام 1972، بـأن هانوي سوف تضغط للحيلولة دون الوصل إلى اتفاقية، وأن السلام لا يمكن الحفاظ عليه إلا باليقظة والحذر الشديد:

وكمـا كنـت أقول لك استقامة منـذ منتصف أيلول، فهـذه عملية ذات خطورة بالغـة، ولسوف ينعكس الناتـج النهائي، فـي جوهره على الثقة وعلى الأداء السياسي للطرفين. ولمـا كنا قد رأينا الكراهية وسوء الظن المرَضي بين الطرفين الفيتناميين، ونحن نعلم بالقدر ذاته أن هانوي ليس لديها رغبة في التراجع عن أهدافها الاستراتيجية، فلابد لنا من أن نواجه الواقع، وهو أن هذه الاتفاقية يمكن أن تفتقر إلى تأسيس الحـد الأدنى من الثقـة التي يمكن أن تمس إليها الحاجة، وعلى هذا فمـن الممكن أن تنهار، بلا ريب. ولا شـك فـي أنها ستطلب منا وضعية الاستعداد الدائم والرغبة فـي التدخل لمنع هانوي وحلفائها في جنوبي فيتنام من قضم الحواف، شيئاً فشيئاً[5].

وفـي مطلع عام 1973 حَسِبنا أننا في وضع يمكننا مـن تلبية هذه المتطلبات وإذا تلقت سايغون معونة عسكريـة واقتصادية كافية، فسوف يدع التوازن العسكري جنوبي فيتنام قوية بما يكفي لمقاومة الضغوط الشيوعيـة ـ مع عدم قدرتهـا على مواجهة هجوم شامل من قبل الجيش النظامـي لفيتنام الشمالية. وإذا نكثـت فيتنـام الشمالية بالاتفاقية وبتعهدها بمنـع التسلل، بشنها غزواً شاملاً فنحـن ننوي الدفاع بالقوة الجوية والبحرية، وهو الأمر الذي مات من أجل تحقيقه أكثر من 55 ألف أمريكي.

ولكن لا سياسة خارجية هي أقوى من قاعدتها الداخلية، وكنا نرى أن من المُسَلمَ به أن عقد اتفاقيات باريس تضمن حق فرضها ـ كما كانت الحال في كل صراع سابق ولاحق حيث ضحى الأمريكيون بأرواحهم، غيـر أن ووتـر غيت قوضت سلطة الرئيس وغيرت التوازن بين السلطتيـن التنفيذية والتشريعية، ولم تفعل اتفاقية باريس شيئاً لإنهاء الجدل سوى أنها أعطته تركيزاً جديداً.

وخـلال عامـي 1973 و1974 أصبـح فرض الاتفاقية مثيـراً للجدل مثلما كانت الحـرب ذاتها، وكانت الحجـج ضده مطابقة لتلك الحجج، وما كانت الحركة المناوئة للحرب لتقبل بالمقدمة المنطقية القائلة:

إننـا حققنـا السلام المشرف، لأن قبولها بها خليق أن يتناقض مـع موضوعها الأساسي، وهو أن السلطان الأمريكـي كان هـو ذاته مصدراً للشر في العالـم.[6] وباتت المجموعات ذاتها التـي كانت قد عارضت كل إجراء مكننا من إنهاء الحرب، ترفض الآن أي سياسة، سواء أكانت لفرض الاتفاقية أم لمساندة الشعوب التي تم خوض الحرب من أجلها.

وكانـت تبرر هـذا الاستسلام في فترة ما بعد الاتفاقيـة بالفرضية المخادعة القائلـة إنه ليس هناك «التزام» شرعي بمساندة فيتنام أو دعم اتفاقية باريس وليس هناك سوى رسائل سرية «رئاسية» تعبر عن نيتهـا فعل ذلك. وجاء اتهامٌ ممهوراً بالموافقـة غير المستحسنة من قبل أعضاء في الإدارة السابقة، كان يفترض أن يكونوا ذوي اطلاع حسن على الرسائل الرئاسية أثناء وجودهم في السلطة، وهي الرسائل التي كانت توازي على الأقل ما كان وعد به الرئيس نيكسون الرئيس ثيو[7].

والرسائـل الرئاسيـة لا تشـكل التزامات شرعيـة ولكنها تعبيرات عـن نية الرئيس القائـم على رأس السلطـة فيمـا يتعلق بأحداث محتملـة يمكن التنبؤ بها، وهـي تفرض التزاماً على خلفائـه ليس بالشرعي ولكنـه أخلاقـي. وهو التزام لا بد أن يضعف مفعوله بفعل المسافة التي تفصله عن الرئاسة. وبالطبع فإنه ما من رئيس يعد قادراً على أن يلزم الكونغرس بإعلان من جانب واحد.

وفـي حالـة فيتنام كانت رسائـل الرئيس مكتوبة خلال الفتـرة الفاصلة بين انتخـاب الرئيس الجديد واستهـلال هذا الرئيس لسلطته. ولذلك كان لـدى ثيو كل سبب يحمله على أن يتوقع أن يكون لدى نيكسون أربـع سنـوات لتنفيذ بيانات في صـدد نواياه التي تنسجم انسجاماً كاملاً مع سجلـه السابق. ويضاف إلى ذلـك أن رفاق الرئيس أقروا مـراراً وتكراراً بتصميم الإدارة على فرض الاتفاقية، علانية، كما يمكن أن يُـرى ذلك من خلال البيانـات العامة لإدارة نيكسون، في الملاحظات[8] وكانت هذه البيانات تكرر المادة التي كانت متضمنة في الرسائل الرئاسية إلى الرئيس ثيو.

وفـي كل حدث، كان الجـدل حول صيغة التزام أمريـكا يفتقر إلى النقطة المركزيـة، فلا إدارة فورد ولا إدارة نيكسـون وضعت موضع التنفيذ التزامـاً شرعياً بمساعدة فيتنام. وكان ما نصر عليه شيئاً أعمق ـــ التزامـاً أخلاقياً، وكان في أعناقنا ذمـة تفرض مثل هذه المساعدة للشعوب التـي وقفت معنا، وحيال الإصابـات والأرواح المهـدورة التـي خلفناها وراءنا، وتجـاه الجهود المشتركة التي كنـا مشاركين فيها – وباختصار، تجاه أنفسنا.

عندمـا تبرم الولايات المتحدة اتفاقية سلام يترتب على الطـرف الآخر بصورة أوتوماتيكية أن يكون علـى علم بأننـا لن نسمح بأن ينتهـك شروطها مع الإفلات مـن العقوبة. فبدون العقوبـة على الانتهاكات يتحـول وقف إطلاق النار إلى مهرب للاستسـلام، وكانت كل إدارة سابقة ولاحقة تتبنى هذه النظرة. وقد

تم الحفاظ على ناتج حرب الخليج في عام 1991 إلى حد بعيد لأن كلا الرئيسين بوش وكلينتون، ولا سيما الأخير، استعمل القوة، أو هدد بها لتدعيم الترتيبات التي أنهت الحرب مع العراق.

وخـلال ستة أشهر بعد اتفاقيات باريـس شرّع معارضو التورط الأمريكي فـي الهند الصينية ناتجهم المفضـل بصكوك ملزمة صادرة عن الكونغرس ـ وهو الشيء الذي لم يعملوا قط على تحقيقه بينما كانت الحرب تحتدم أوزارها. وعندما حظر الكونغرس، في حزيران 1973 استخدام القوة العسكرية «في الهند الصينيـة أو بسببها» كانت الولايات المتحدة، بالنتيجة محظوراً عليها أن تفرض اتفاقية ضحّى بأرواحهم مـن أجلها أكثر من55000 ومئـات الألوف من الفيتناميين. وفي الوقت ذاته تـم خفض المعونة العسكرية لفيتنام من 1،2 مليار دولار، عن السنة المالية 1973، إلى واحد مليار دولار عن السنة المالية 1974 و700 مليـون دولار عن السنة المالية 1975، على الرغم من حقيقـة أن أسعار النفط كانت تتضاعف أربع مرات وتستنزف احتياطيات سايغون الضئيلة من العملة الصعبة.

وفي هذه الظروف سربت هانوي أكثر من 130,000 جندي مع دباباتهم ومدفعيتهم الثقيلة إلى جنوبي فيتنـام، علـى مدى العام ونصـف العام اللذين مضيا علـى الاتفاقية، وأنشأت شبكة مـن الطرق، لتحوّل قواتهـا بسرعة من قطاع إلى آخر ـ وكل ذلك في خـرق فاضح للاتفاقية، وكانت الولايات المتحدة تخنق جنوبـي فيتنـام وتشل مقدرته على التصـرف ولم يكن من المفاجئ أو المدهش أن المأساة انتهت بغزو جيش فيتنام الشمالية بأسره لجنوبي فيتنام، بينما كانت الولايات المتحدة تقف مكتوفة الأيدي، مشلولة بخلافاتها.

فورد وفيتنام

عندما أصبح فورد رئيساً، كان دعم المعونة العسكرية أو الاقتصادية للهند الصينية أخذاً في التفسُّخ علـى نحـو ظاهر جليّ وكان أولى قراراتـه يتعلق بالكيفية التي يجب أن يصدر بهـا رد الفعل حيال ميزانية معونة عسكرية غير كافية إلى حد يبعث على اليأس، كانت تشق طريقها إلى الكونغرس وكانت المخصصات لفيتنـام يجـري تخفيضها بنسبة 50% كل عام منذ التوقيع على اتفاقيـة باريس. وكانت إدارة نيكسون قد طلبـت 4،1 مليـار دولار للمعونة العسكرية عن السنـة المالية 1975، وكانت لجنـة الخدمات المسلحة في مجلـس الشيـوخ التي يرأسها جـون تينسي، الجليل، والمحافـظ من ميسيسبي قد خفضـت هذه المعونة إلـى واحد مليـار دولار. والآن كانت لجنة المخصصات في مجلس الشيوخ التـي يرأسها المحافظ بالقدر ذاتـه، جـون ماكليلان من آركنساس، تخفض المعونة بمقدار 300 مليـون دولار أخرى من برنامج المعونة العسكريـة. وفي الوقت ذاته كان يجري خفض المعونة الاقتصادية من 650 مليون دولار، إلى 250 مليون. بـل إن هـذه التخفيضات تبدو أكثر حدّة عندما تقاس بالدولارات الحقيقية، لأن الزيادة في أسعار النفط، والتضخُّم خفضا القيمة الفعلية لسلة المعونة إلى نحو ربع المقدار الذي كان في عام 1973.

كانـت معـارك الميزانية بمثابة بدائل عن تحدٍّ أساسيّ كان يفرض علـى الرئيس الجديد أول مرة من قبـل الكونغرس الذي ورثه عن نيكسـون وحتى بمزيد من الإصـرار من قبل كونغرس مـاك جوفرن الذي انتخـب في عـام 1974. وكانت الضغوط التي تجري ممارستها لتصفية حتـى التورط الأمريكي المالي في الهند الصينية وهي التصفية التي كان يُدّعى أنها تجري باسم وضع نهاية للقتل، مع نسيان المجزرة التي ستنشـأ عن انهيار الهند الصينية. وفي الوقت ذاتـه، كان بعض رفاق فورد من أيامه في الكونغرس، الذي كانـوا يرون مسيـرة حياة بعد مسيرة حياة، تفسدها فيتنام، يحثونه علـى تجنب الانجرار إلى الدخول في الدوامة، ولاسيما فيما سيكون بوضوح معركة خاسرة. وفي لحظاتهم الأكثر براءة، كان بعضهم يعلل نفسه بالوهم القائل: إن صديقهم القديم يمكن أن يجمع الثقة من أجل إنهاء تورط أمريكا في الهند الصينية.

أمـا فـورد فلم تكـن لديه أمثال هذه التصـورات الخاطئـة. وكان يفهم بحكم الغريـزة، أن قَسم تقلد المنصـب جره إلـى المشاجرة، ومما يحسب لصالحه أنـه أدرك الشعار السائد وهو شعـار إنهاء التورط الأمريكي لما كان يتسم به من اللطافة في التعبير عن شيء بغيض، الدالّ على التخلي عن الهند الصينية وتركها لخصومنا ليفرغوا منها تبعاً لإرادتهم. ولما كانت القوات الأمريكية قد رحلت منذ عهد بعيد، فقد بـات تورطنا الرئيسـي الآن عن طريق المعونة العسكريـة والاقتصادية وكان إنهاء ذلـك خليقاً أن يجعلنا شـركاء في جريمـة تدمير المؤسسات التـي أقمناها لها هنـاك، والرجال والنساء الذيـن كانوا يعتمدون علينا. ومع ذلك فقد كان معارضونا يحققون المكاسب على الأرض، إذ لم يكن هناك أحد يترك لمناقشة المسألـة وتنفيذها، وكان المحافظون قد فقدوا روحهم المعنوية مع وقف القصف بالقنابل الذي كان أمر بـه جونسـون في عام 1968، وكان مؤيدو نيكسون يتعرضون لانهيار المعنويات من جراء ووتر غيت، وكانت هيئـة العاملين الجدد فـي البيت الأبيض لا تنطوي على تقبل للقتال الوحشي الذي كانوا يرقبونه حتى الآن مـن الخطـوط الجانبية. وهكذا ثابرت، أنا وسكـوكروفت، إذ كنا نتمتع على الـدوام بدعم الرئيس، على مسانـدة حليفتنـا، ثم جنحت، وقد بلغت العلـة من قلبي، إلى إنقاذ ما يمكن إنقـاذه على الأقل، من أرواح الفيتناميين والكمبوديين قبل الكارثة النهائية التي كان فرضها الكونغرس ووسائل الإعلام.

ولكـي يظهر فورد بصورة رمزيـة، التزامه بالحفاظ على فيتنام جنوبية حـرة، كان قد أظهر اهتماماً باستقبال سفير فيتنام الجنوبية، ثران كيم فوونغ من أجل اجتماع خصوصي مساء أول أيامه في المنصب. وأكـد الرئيس لفوونغ أنـه ملتزم ببقاء سايغون، وسوف يفعل أقصى ما فـي وسعه لرفع مستويات المعونة. وفـي اليوم ذاته كـرر فورد هذا التأكيد مراراً فـي رسالة إلى ثيو، مضيفاً إلى ذلـك مسودة مجلس الأمن القومي التي صاغها بنفسه:

إن عمليتنا التشريعية عملية معقدة، ولم يجر استكمالها بعد. وعلى الرغم من أنها يمكن أن تستغرق بعض الوقت فأنا أريد أن أكرر لك الإعراب عن ثقتي بأن دعمنا سيكون في النهاية كافياً في كل من الحسابين.

ولـم يحـط فورد ولا أنا حتى الآن، بـكل العمق، النطاق الذي تمخضت عنـه المعارضة في الكونغرس، أو بالرسالـة التـي لا شك في أنها ستكون قد عُدّلت وكان دعـم الكونغرس لمعونة فيتنام قد تبخر على كلا طرفي الطيف السياسي. وفي حزيران، بينما كان نيكسون ما يزال في منصبه، أقر السناتور جيمس ألين، ممثـل ألاباما، وهو محافـظ، وأستاذ في المناورة التشريعية، أنه كان يدعـم الإدارة إلى أن عادت القوات والأسرى إلى الوطن، ولكن ولأن هذه المهمة قد تم إنجازها فقد «بات من الواجب علينا الآن أن نخرج».[9] وتحـدث السناتور هيوبـرت همفري، المدير الذي يتمتـع بحق الكلام في فاتورة المعونـة الخارجية باذلاً الجهـد ذاته، في بلاغـة ليبرالية قائلاً : «إننا نجهل الدرس الأكثر أهمية علـى الإطلاق، وهو أن المعارك السياسية لا يمكن إنهاؤها بقوة السلاح»[10].

وليـس هذا بالاستنتـاج الذي توصل إليـه معظم المؤرخين، وحتـى حربنا الأهلية، نحـن، ربما لقنت درسـاً مختلفاً لصديقي صاحـب القلب الطيب من مينيسوتا والذي دمرت فرصه في الوصول إلى الرئاسة بالاحتجاج على موضوع فيتنام في عام 1968. أما المحافظون الجدد، الذين كانوا مشغولين بشجب موقف إدارة فـورد بالنظـر إلى لينـه المزعوم تجاه الضغـوط الشيوعية، فما عادوا يعثر عليهـم في أي مكان في المداولة التي كانت تجري داخل المجلس حول كيفية مقاومة العدوان العسكري الشيوعي الذي كان يحدث بالفعل.

وخلال الأسابيع القلائل الأولى من رئاسته، أي في آب 1974 كان فورد مشغولاً في المقام الأول بأزمة قبرصـ، وتزويـد إدارته بهيئات العاملين، وبالتفكير في رفع العقوبة عن نيكسون، ولم يتهيأ له التحول إلى قضية المعونة للهند الصينية إلا في 5 أيلول، بطريقة منهجية. وحذرته أثناء اجتماعي اليومي به، قائلاً:

إذا لـم تبـذل جهداً ضخماً من جانبك فسنواجه مشكلة في فيتنـام، وإذا لم نفعل ما يكفي، فلن يكون مـن المهم مدى ضآلة ما تفعل، ويبدو أن فيتنام الشمالية مترددة لم تعقد العزم، وقد تنازعك نفسك إلى الاجتمـاع بقادة الكونغرس في الأسبوع التالي فكلانا يواجه مشكلة فيما يتصل بالقيود ومبالغ الدولارات.. وثمة آخرون سوف يرون ما يحدث للشعب الذي يعتمد على الولايات المتحدة، ففي البداية نحقق تسوية غير مرغوب فيها، ولكنها مصحوبة بالوعد بمساعدة غير محدودة. ثم يتم قطع المساعدة خلال عامين.

ومن أجل التناسق طرحت خيار التخلي عن فيتنام:

أنـت تتمتع، بالفعل بحكـم كونك الرئيس الجديد، بخيار معين، ففي وسعـك أن تدعها تذهب ولا لوم عليـك، وذلك علـى الأقل، خلال عام 1976. ولابد أن أقول إنني أرى أن هـذا خطأ، وإن الليبراليين الذين سيصفقون لهذا استحساناً، لخليقون أن يمسكوا عن هذا إذا ما تعسرت الأمور كثيراً.

ولم يفكر فورد في ذلك الخيار مطلقاً، وقد كان خلال الحرب الفيتنامية الجمهوري التالي بعد الرئيس فـي اللجنـة الفرعية للدفـاع التابعة للجنـة مخصصات هيئة الممثليـن، وكانت له معرفـة واسعة بأهمية

مستويات المعونة، وكان يحتاج إلى الاطلاع ليفهم أن مستويات المعونة التي تتردى على نحو مستمر كانت تشكل خطراً سيكولوجياً وعسكرياً ينذر بشر مستطير. وفي الثاني عشر من أيلول أرسلت إلى فورد مذكرة وصفت تأثير مستوى الملايين السبع مئة في المعونة العسكرية.

ـ إنها مبالغ غير كافية لتعويض المعدات التي أصابها العطب أو التي فقدت.

ـ تخفيض بنسبة 50% في استخدام الطائرات بالإضافة إلى 112 سرب من الطائرات جاثمة على الأرض.

ـ انخفاض في عمليات المراكب البحرية بنسبة 30%، وعمليات المراكب النهرية بنسبة 82%.

ـ الإمدادات الطبية سوف تستهلك تماماً بحلول نهاية أيار 1975.

ـ وقود القوات البرية يستهلك بحلول أواخر نيسان 1975.

ـ وبحلول نهاية السنة المالية 1975 لن يكون لدى الجيش سوى ربع الحد الأدنى من احتياطي المؤونة الضرورية واللازمة لتلبية حاجات هجوم كبير.

ـ الطائرات غير المستخدمة والمعدات الأرضية سوف تتدهور حالتها بسرعة.

كانت الخسائر البشرية في جنوبي فيتنام تتصاعد تصاعداً مطرداً إلى ما فوق مستويات العجز، ووصلت إلى 26000 وفاة ميدانية منذ التوقيع على اتفاقية باريس قبل عشرين شهراً، ولم يتأثر قادة الكونغرس بهذه الأرقام، وكان أكثر ما استطاع فورد أن يستخرجه منهم وعدٌ من السناتور ستينيس بأن ينظر نظرة المتعاطف إلى طلب 300 مليون دولار من أجل ميزانية تكميلية في كانون الثاني 1975، على أن هذا لم يحسن الأمور كثيراً لأن المبالغ سوف يجري صرفها، على قدر ما يتعلق الأمر بسايغون، بالمعدل المتضمن في ميزانية السبع مئة مليون، إلى أن يمكن إجازة الميزانية التكميلية، الأمر الذي لن يتحقق إلا في بحر عام 1975، هذا إذا تحقق على الإطلاق.

وتحول الطلب التكميلي إلى منتدى لهجوم مفاجئ آخر على التمويل من أجل الهند الصينية التي كان يجري فيها الدفاع عن التخلي عنها بمزيد من الصراحة وبذرائع تزداد إصراراً على نحو مطرد: هل لدينا التزام شرعي بتمديد أجل المعونة لفيتنام، وهل ينبغي لنا أن نرفع مستوى معونتنا إلى مستويات المعونة السوفييتية والصينية لهانوي؟ أولا ينبغي لنا أن نبحث عن حل سياسي بدلاً من الحل العسكري؟ وكانت الحجة تفضي إلى أسابيع من المماطلة والتسويف، إذ كانت تتم إقامة جلسات استماع من قبل لجان الكونغرس المتشكلة. وأخيراً تخلى معارضو المعونة الذين باتوا الآن يشكلون أغلبية، عن معركتهم الدفاعية التعويضية، وبدؤوا يستجمعون قواهم حول اقتراح مؤداه أن على فيتنام الجنوبية أن تتعلم كيف تقف على قدميها معتمدة على نفسها، وفي وسعها أن تتوقع، على أفضل الأحوال هبة تتألف من مبلغ إجمالي نهائي يكون نوعاً من تعويض البطالة.

كنـت داخـل الإدارة، المدافع الرئيسي عن مستويات من المعونة لهـا دلالتها، ولما كنت المفاوض في اتفاقيـات باريـس فقد كنت أشعر بمسؤولية خصوصية، وما كنت لأختتم المفاوضة لو لم أكن مقتنعاً بأننا سنقـوم بالإمـداد بالمعونة الكافية بعد انسحابنا، ولم يحدث قـط أن خطر ببالي أن من الممكن أن ننجو بأنفسنـا بإلقـاء العبء الـذي كان لدينا، عبء شعـب بأسره كنا متحالفين معه، عـن كاهلنا، وحين كانت فيتنـام تنهار، كانـت اندفاعة ندائي موجهة نحو مفهومات مخالفة للزي السائد، مثل «الشرف» و«الالتزام الأخلاقـي» لا إلـى السياسـة الواقعية، كما كانت لـدى نقادنا. وفـي 22 آذار 1974 قلت فـي اجتماع هيئة العاملين:

أشعـر بقـوة بالغـة وذلك لأن خسـارة 50 ألف رجل قد فرّقت بلادنـا، وتوصلت إلـى استنتاج، وهو أن طرحي ذلك بعيداً، الآن، مقابل 100 مليون دولار، بهذه الطريقة أو بأخرى، إنما هو خزي وعار، وأنا حرميّ بي كثيراً، أن أخبر الكونغرس بما نعتقد أننا نحتاجه وأدعهم يتحملون المسؤولية عن قطعه.

وما من دولة كانت الولايات المتحدة تدافع عنها أثناء الحرب الباردة، طلب إليها في أي يوم من الأيام أن تقـف مستقلـة بنفسها تماماً، من دون بعض الحماية الأمريكية المستمرة بعد ذلك. فالقوات الأمريكية لـم تغـادر أوربا في نهاية الحرب العالمية الثانية، وإنما بقيت حتـى انهيار الاتحاد السوفييتي، وظلت عدة فرق في كوريا على مدى ما يقارب نصف قرن منذ انتهاء الحرب الكورية، واحتفظ بوجود أمريكي قوي في الخليـج منذ طرد العراق من الكويت، وكانت فيتنام وحدها هي التي أصررنا فيها على أن يدافع حليف لنا عـن نفسـه بقواته الخاصة وحدها تماماً وهذا في وجه خصم هو مـن أكثر ما واجه أي حليف من حلفائنا مـن الخصوم، قسوة وتصميماً. ألـم يكن من واجبنا، عند الحد الأدنى، تجـاه فيتنام على الأقل، أن نتيح لهـا فرصة معقولة للدفاع عن نفسها بإمدادها بالمال الضـروري الكافي لتفعل هذا ؟ وماذا كان يمكن أن يحـدث فـي أوربا أو كوريا أو الخليج لـو أن الولايات المتحدة سحبت قواتها، وقطعـت معونتها، ثم شرَّعت حظراً على الرد على العدوان بالقوات الأمريكية ؟.

وفـي الأعـوام 1971ـ1973 عندما كنا نحـرر أنفسنا من فيتنام، كان هنـاك الكثير من التعبيرات عن دعم الكونغرس لفكرة منح معونة سخية بعد انسحاب للقوات الأمريكية، وعلى هذا دافع السناتور جاكوب جافيتـس، وهـو من قـادة «الحمائم» عـن مخصصـات الكونغرس بالأمـر بتخصيص 2 مليـار دولار بعد انسحـاب أمريكـي باعتبار ذلك تعبيراً عـن التزام تجاه الملايين من الفيتناميين الذين تم إدخالهم في عمليات الولايات المتحدة الضخمة، في فيتنام »[11]. وفي 11 أيار 1972 نقلت عن السناتور فرانك تشورش «صحيفة كريستيان ساينس مونيتور»، ما يلي:

يتابـع السناتور تشورش والحمائم الآخرون طريقهم، متماشين مع نيـة إدارة نيكسون إعطاء حكومة سايغـون المبالغ التي تحتاج إليها، ويشير السناتور حقاً إلى أنه في حالة تغيُّرٍ في الحكومة يأتي برجل مثل

الجنـرال وونـغ فان منه (منه الكبير) إلى المقدمة، يمكن أن يقـل الاعتماد على معونة الولايات المتحدة. وفي 21 شباط 1973 صادق السناتور كليفورد كيز من نيوجرسي، وهو رجل آخر من الحمائم على استمرار المعونة.[12]

إن هدفنا في الهند الصينية يجب أن يكون إعادة البلدان إلى ما كانت عليه قبل أن تبدأ هذه المشكلة. وبهـذا التوصيف أؤيـد كل التأييد مفهوم المعونـة الخارجية، ولا أعتقد أن مما ينتقص من مقدرتنا بأية طريقـة مـن الطرق أن نفعل مـا ينبغي لنا أن نفعله فـي وطننا على النحو اللائـق.[13] (ويمكن العثور على لائحة أكثر شمولاً، في الحواشي).

وفجـأة أخـذت تهب رياح من فقدان الذاكرة وبمجرد إبرام اتفاقيـة باريس بات الكونغرس يظهر ولعاً غيـر عـادي بالتنصل ممـا كان ينادي به حتى الآن على أنـه ركن من أركان الإيمـان، وكان من أمثال هذه الحجـج أن معونتنـا لسايغون ينبغي ألا تكون أكبر من التوريـدات السوفييتية والصينية لهانوي، ولكن هذا كان يقيس على ما لا يقبل القياس عليه، فقد كانت سايغون ملتزمة بالدفاع عن حدود ذات أحراش وغابات يبلـغ طولهـا نحو ألف كيلومتـر، وكان في وسـع الفيتناميين الشماليين أن يركزوا علـى أي نقطة، وكانوا يتوسعون ويرفعون مستوى نظام الإمداد في خرق فاضح لاتفاقية باريس، ليمكنهم ذلك من تركيز قواتهم بسرعـة وبأعداد متفوقة، في نقـاط حاسمة. وظلت القوات المسلحة في فيتنام الجنوبية، حتى صيف عام 1974، قـادرة علـى تحقيق التوازن، بمدفعيـة وقوة جوية متفوقتين. والآن باتـت اقتطاعات الكونغرس من الميزانية ترغمهم على أشكال من التخفيض الدراماتيكي في هذه الأنشطة الموصوفة آنفاً.

وكان ثمة ذريعة أخرى للتخلي عن الأهداف الإنسانية المتصلة بجنوب فيتنام إذ كان يقال: إن المزيد مـن المعونة الأمريكية لـن يزيد على أن يشجع سايغون على خرق البنـود السياسية في الاتفاقية، كإجراء انتخابـات حرة، وما من شك في أن سايغـون كانت تجر قدميها جراً نحو تنفيذ بعض البنود السياسية في الاتفاقيـة، علـى الرغم من أن سلوك هانوي، سواءً قبـل النصر أم بعده لم يقدم دليلاً على رغبة حارة في انتخابـات حـرة (مـا زال يترتب إجراؤها، حتى تاريخ هـذه الكتابة في أي مكان مـن فيتنام تحت الرقابة الشيوعية)، ولكن خرق هانوي للبنود العسكرية هو الذي قوض اتفاقية باريس من البداية ـ ثم إن معارضة الكونغرس الأمريكي، مع اقتران ذلك بووتر غيت استكملا مصير سايغون المحتوم.

وفـي ربيع 1973 كنـا نعد العدة لقصف ممر هوشي منه لوقف استفحـال خطر هانوي أو إبطائه. وفي نيسان شعر نيكسون أنه مضطر إلى وضع هذه الخطة على الرف وذلك حين اكتسبت التحقيقات في ووتر غيـت زخماً، وفي حزيران 1973 حظر الكونغرس أي إجراء عسكري في فيتنام أو من أجلها، وأعقب هذا، فـي عـام 1974 اقتطاعات من الميزانيـة التي سبق وصفها. وفـي عام 1975 تم قصم ظهـر سايغون من الناحية السيكولوجية.

استفحال خطر هانوي

كل الدلائل في الوقت الحاضر، وحتى ما هو أكثر منها، فيما بعد، في الروايات المتنوعة لقادة فيتنام الشمالية لا تدع مجالاً للشك في أن هانوي كانت تعد العدة لحسم عسكري منذ اليوم الذي تم فيه التوقيع على اتفاقيات السلام، مهما تكن تصرفات سايغون. حين بدأ الفيتناميون الشماليون على الفور بذلوا جهداً هائلاً لإعادة تجهيز قواتهم وإعادة تنظيمها في الجنوب، وأقاموا شبكة من الطرق الاستراتيجية يبلغ إجماليها عشرين ألف كيلو متر، شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً بما في ذلك الطرق التي يبلغ عرضها ثمانية أمتار، والطرق الملائمة لكل أحوال الطقس والملائمة للشاحنات. وأنشؤوا خمسة آلاف كيلومتر من أنابيب النفط لتزويد عشرات الألوف من المركبات بالوقود، وهي المركبات التي كانت تتحرك في الاتجاه النازل، وكل ذلك في انتهاك فاضح لاتفاقية باريس. ومنذ تشرين الأول 1973 قررت الجلسة المكتملة الحادية والعشرون للجنة المركزية للحزب الشيوعي في فيتنام الشمالية، أن تستأنف برنامجها في «العنف الثوري» وبحلول آذار 1974 كان اجتماع للجنة عسكرية مركزية قد رسمَ خططاً لاستئناف «الهجوم الاستراتيجية» وتتحدث رواية الفيتنامي الشمالي الجنرال فان تيان دونغ الذي قاد الهجوم النهائي، عن أن الوحدات الفيتنامية الشمالية هاجمت العدو فيما بين نيسان وتشرين الأول 1974 من دون أن تفقد أثره، وكانت تحقق انتصارات تزداد ضخامة في كل يوم، وبسرعة مطردة الزيادة، وقد استنتجت الأركان العامة من هذا « أن المقدرة القتالية لوحدات قوتنا الرئيسية المتحركة كانت متفوقة على العدو».[15]

وكان السبب فيما يرويه القائد الفيتنامي الشمالي ذاته، أن أعداداً ضخمة من «الدبابات» والسيارات المصفحة والصواريخ والمدفعية البعيدة المدى والمدفعية المضادة للطائرات «(وكل هذه محظورة بالطبع بموجب اتفاقية باريس) كانت ترسل إلى الجنوب وكان الذي مكَّن من هذا الشبكة غير العادية، من الطرق التي كانت حسب كلمات دونغ الحية» كالحبال القوية التي تتقدم ببطء رويداً رويداً، يوماً فيوماً، محيطة بعنقه وذراعيه وساقيه في انتظار الأمر بالإطباق عليه وإنهاء حياة ذلك المخلوق».[16]

وبينما كانت فيتنام الجنوبية يُضَيَّق عليها الخناق شيئاً فشيئاً كانت أنظار واشنطن مصروفة عن ذلك بانقسامها، وكانت فوق كل شيء قد انتابها التعب من فيتنام.

جاءت قوة دافعة جديدة عندما حمل الانتصار الديمقراطي الكاسح في عام 1974 إلى واشنطن، فئة من رجال الكونغرس المبتدئين الذين كانوا يمثلون حسب تعبير كتاب تقويم السياسة الأمريكية 1978 ميداناً سياسياً كانت المعارضة لحرب فيتنام تشكل فيه مصدر التحريض الأكثر فرضاً لإرادته»، وقبل عامين فحسب، أي في الانتخابات الرئاسية التي جرت في عام 1972، كان جورج ماك غوفرن قد سجل ثاني أكبر انتصار ساحق في التاريخ الأمريكي حول قضية فيتنام، وفي الانتخابات التي جرت من أجل

أعضـاء الكونغرس في عام 1974 فاز مؤيـدوه السابقون على أساس قضية ووتر غيـت، وانبثقوا في وضع يمكنهم من قلب أحكام المصوتين السابقة في قضية فيتنام.

وهكـذا حدث أن فيتنام الجنوبية بينما كانت تقترب من سكرة الموت النهائية، كانت واشنطن تتداول فـي مقـدار ما يترتب اقتطاعـه من المعونة، وفي ماهيـة الضغط الذي كانت تحس بالحاجـة إليه لتسريع مسيـرة سايغون نحو عملية «التحول الديمقراطي» ولم تكـن وكالات استخباراتنا تعيش في الأوهام. فمنذ 23 أيـار 1974 حذر تقرير وضعته الاستخبارات القومية، من أنه إذا حولت فيتنام الشمالية جزءاً أساسياً من احتياطها الاستراتيجي:

فمـن الممكن أن تكون قـوات فيتنام الجنوبية غير قادرة على استعادة زمام المبادرة وسوف يكون من المشكوك فيه أن تكون حكومة سايغون قادرة على البقاء من دون مشاركة الولايات المتحدة بقواتها الجوية ووحداتها البحرية.

وعلـى تقدير الحد الأدنى من الدعم اللوجستي الأمريكي، علـى النطاق الواسع، سيكون من المطلوب وقف اندفاعة الشيوعيين.

واستنتـج تقريـر صادر عن مكتب استخبـارات وأبحـاث وزارة الخارجية، مؤرخ فـي 1 تشرين الثاني 1974، أنه إذا لم يعكس اتجاه تيارات الميزانية فمن الممكن جداً أن تنهار حكومة ثيو:

لقـد انخفضـت إمداداتها إلى نقطة تكون عندها محاولات سد النقص فـي حالة الطوارئ، إذا مست الحاجـة إليها لمواجهة الهجمات الرئيسية مـن قبل جيش فيتنام الشمالية، والفيتكونغ، خلال عام 1975، أكثر تأخراً من أن تتفادى الهزيمة... والشيوعيون ينظرون إلى الولايات المتحدة على أنها تزداد انشغالاً، على نحو مطرد بأزمة الاقتصاد العالمي المتعلقة بالطاقة والغذاء، وتفيد التقارير أن مقدرة الرئيس فورد على مساعدة حكومة سايغون محدودة جداً بسبب حاجته إلى الكونغرس، ورغبته في الحفاظ على علاقات جيدة معه.

وكان الذيـن يقومـون بالحسابات في هانوي، بلا رحمة، يستخلصـون النتيجة ذاتها، وقد نطقت بهذا مجلـة الحـزب الفيتنامي الشمالي، هوك تاب، وهـي المجلة النظرية الرسمية، إذ كانـت تمارس التحليل الدقيق لتأثير كل خفضٍ جديد في المعونة الأمريكية، في كانون الثاني 1975:

لقـد تناقصت حدة غـزارة النيران وكمية المعدات المتحركة لدى قـوات الحكومة الدمية (سايغون) إلـى حد ملحوظ. ففي الربع الثالث من عام 1974 تناقصـ العدد الشهري لعمليات إطلاق النار الجماعي التـي تنفذها قوات حكومة الدمية، على وجـه التقريب بنسبة ثلاثة أرباع، إذا ما قورن بالعدد الشهري في عـام 1973، أما عدد الغارات الجويـة التكتيكية اليومية التي تشنها القوات الجوية التابعة للحكومة الدمية

فلم يتجاوز خمس تلك الغارات التي نفذت في عام 1972، وأما العدد الحالي للطائرات في الجنوب، إذا ما قورن بأكبر رقم له متوفر في فترة الحرب المحدودة، فقد تناقص بنسبة 70% مع تناقص عدد طائرات الهيلكوبتر بنسبة 80% كما تناقصت احتياطات القنابل والمؤونة لدى قوات الحكومة الدمية، وهي تواجه صعوبات كبيرة في تأمين الوقود وفي الصيانة، والإصلاح، واستخدام النماذج المتنوعة من الطائرات والدبابات والزوارق الحربية والأسلحة الثقيلة.

ولسبب يرجع إلى حد بعيد إلى إهمالنا ولا مبالاتنا كان قد آن أوان العمليات الهجومية الشيوعية الجدية.

كان تصميم هانوي على أن ترفع مستوى ضغوطها قد لقي تشجيعاً من جراء تغير ظاهر في المواقف السوفييتية، وفي أواخر كانون الأول 1974 زار مسؤول سوفييتي رفيع المستوى هانوي لأول مرة منذ التوقيع على اتفاقية باريس، وتبين أن المسألة يمكن أن تكون كل شيء إلا وأن تكون لفتة مجاملة، وذلك أن رئيس الأركان العامة السوفييتية، فيكتور كوليكوف جاء ليشارك في المناقشات الاستراتيجية في المكتب السياسي التي كانت قد انطلقت في ذلك الوقت (وكانت آخر زيارة له مماثلة في عام 1971، قبل هجوم عام 1972).

وما زال على الذكريات أن تتحدث عن أساس القضية في النصيحة السوفييتية، ولكن يبدو أن من الواضح أن بعض القيود والمعوقات السابقة كانت قد رفعت، وتضاعفت شحنات المواد العسكرية السوفييتية إلى أربعة أضعافها في الأشهر التي أعقبت ذلك و إلى أن تفتح المحفوظات السوفييتية، لا نستطيع أن نعرف ماهية الدافع السوفييتي ـ أتراه كان موجهاً نحو الصين، أم كان رد فعل على هجمات الكونغرس على لائحة التجارة وغلاديفوستوك، أم كان جزءاً من الاستراتيجية السوفييتية خلال كل ذلك الوقت، ومهما يكن الجواب فليس هناك إلا القليل من الشك في أن موسكو كانت الآن تشجع نزعة هانوي الحربية.

وكان العنصر الوحيد من الشك المتبقي حيال هانوي هو موقف الولايات المتحدة، إذ يستفاد من رواية الجنرال دونغ، أن لي دوان، الأمين العام للحزب، استنتج في تشرين الأول عام 1974، «أن التناقضات الداخلية داخل إدارة الولايات المتحدة وبين الأحزاب السياسية الأمريكية أيضاً، كانت تزداد حدة وكانت قضية ووتر غيت قد أثارت ثائرة البلاد بأسرها وكانت المعونة الأمريكية لإدارة سايغون، الدمية المتعاونة مع الأجنبي، في طريقها إلى التلاشي» إلى درجة أن الولايات المتحدة «لا تستطيع أن تنقذ إدارة سايغون من انهيارها الكارثي» على أن هجمات عام 1975 سوف تختبر صحة هذا الحكم، وبينما كانت ما تزال هناك أشكال من عدم الاتفاق بين القادة العسكريين الفيتناميين الشماليين الذين كتبوا مذكراتهم (وذلك، إلى حد بعيد، حول من يرجع إليه الفضل في كسب الاستراتيجية) يتفقون جميعاً على هذه النقطة المركزية :

وهـي أن الهجمات التي تـم التخطيط لها من أجل العام 1975 كان يتوقع أن تكون مجرد مقدمة للانتصار النهائـي فـي عـام 1976 أو حتى في عام 1977، وسوف يكـون رد الفعل الأمريكي على هـذه الهجمات ـ أو غيابها ـ اختباراً محورياً للكيفية التي سيتابعون بها مسيرتهم عندئذ.[19]

وكانـت لهجة الاتصالات من جانب محاوري على المدى الطويل، لي دوك ثو على الدوام مؤشراً حسناً علـى مستوى ثقة المكتب السياسي في هانوي. وقد أحدثـت استقالة نيكسون التي اقترنت باقتطاعات من ميزانيـة الكونغرس لفيتنام، تواصـلاً لغطرسة كانت توحي بـأن هانوي كانت تشعر بـأن الرياح تنفخ في أشرعتها. وفي 19 آب 1974 انتهزت مناسبة مباشرة فورد لمهام منصبه الجديد لإرسال رسالة تحذر من النظر إلى التحول على أنه فرصة عسكرية، معبراً عن رغبتنا في علاقات محسنة مع هانوي:

لقـد كان الرئيس فورد، كمـا لابد أن تكـون مطلعاً على ذلك، مـن المؤيدين بحـزم لسياسة الرئيس نيكسون في الهند الصينية على مدى خمس سنوات ونصف، ولابد لي أن أبلغك يا سيدي المستشار الخاص بروح من الاحترام المتبادل والصراحة اللذين ميزا علاقاتنا المتبادلة على الدوام، أن الرئيس فورد رجل ينطـوي علـى إحساس مرهف حـاد بالشرف الأمريكي وهـو يشاطركم أيضاً النظرة القائلـة: إننا لما كنا نعمل جميعاً على الجانب الأمريكي فإن جمهورية فيتنام الديمقراطية (فيتنام الشمالية) لها درب إيجابي مفتـوح إلـى هذه الوجهة ـ وجهـة التسوية السليمة وإعـادة البناء والروابط البناءة مـع الولايات المتحدة والعالم الغربي والدور المستقل حقاً في شؤون العالم، والرئيس جاهز ليلتزم معكم على هذا الدرب.

وفي جواب تغطرس وقح، في 25 آب، لم يكتف لي دوك ثو بنسبة الفضل إلى نفسه في استقالة نيكسون، بل هدد فورد بمصير مماثل:

التقى السيد نيكسون مع الخيبة والإخفاق في هذا المشروع واضطر إلى ترك البيت الأبيض، وإذا قُدّر للسيد فورد أن يستأنف هذا العمل فلا بد أن ينتهي إلى الإخفاق لامحالة.

بعد اتهامي بخيانة «توقيعي والتزامي» ـ وهي تهمة لا يوجهها المرء في السلك الدبلوماسي إلا إذا كان المرء يتوقع أن يفوز من دون حاجة إلى مزيد من المفاوضات ـ واختتم لي دوك ثو قوله في هذه الملاحظة المنذرة بالسوء:

وفـي حالـة استمرار الولايات المتحدة في تنفيذ مبدأ نيكسون مـن دون نيكسون، واستخدام مجموعة نجويـن فان ثيـو لمتابعة الحرب وتقويض اتفاقية باريس حول فيتنام، فـإن الشعب الفيتنامي سيمضي في كفاحه بعزم وتصميم للدفاع عن السلام وعن اتفاقية باريس حتى النصر النهائي.

وبينمـا اختارت هانـوي النصر العسكـري، كانت واشنطن تتحـدث حديثاً ملتبساً يحتمـل الكثير من المعانـي حول ما إذا كانت جملة المعونة المؤلفـة من 700 مليون دولار ـ والتي كانت تصل كما لاحظنا في

إطار الشروط الواقعية إلى مستوى خفض للمعونة بمقدار ثلاثة أرباع ما كانت عليه في سنة السلام الأولى، وعندما دعا فورد السناتور ستينيس إلى إحياء مبلغ الثلاث مئة مليون الذي كان قد اقتطع من ميزانية المعونة العسكرية أجاب صديق البنتاغون هذا الوفي الذي كان من الممكن أن يكون كل شيء إلا أن يكون حمامة قائلاً :

لقد قلت: إذا لم يكن مبلغ 700 مليون (لفيتنام) كافياً فسوف أعمل من أجل المزيد غير أني كنت أحصل على معلومات من بعض العسكريين تفيد أن في وسعنا أن نقتطع، وكنت أريد منك أن تبعث برجل إلى هناك ليقدر ذلك.

وكان من بواعث السعادة أنه كان هناك عدد كاف، وإن كان من المستوى المنخفض نسبياً، وكان هؤلاء يدبرون أمورهم من أجل الارتفاع فوق موشور طريق بيلتواي الجبلي المحيط بواشنطن، وفي العشرين من كانون الأول 1974 كتب ر. بلنغتون، المسؤول في وزارة الخارجية عن شؤون فيتنام تقريراً مؤثراً ينطوي على بعد النظر إلى حد فائق بعد زيارة قام بها لسايغون وأشار إلى أنه حتى المبلغ التكميلي البالغ 300 مليون دولار، لا يكاد يكفي لتغطية نفقات الأشياء المستهلكة، ولن تترك مبالغ لتعويض ما يستهلك، وأنه ستمس الحاجة إلى حد أدنى يبلغ 1.300 مليون دولار للغرض ذاته في عام 1976، وعندئذ لن يكون من الممكن تأخير تعويض المعدات التي أصابها العطب أو التلف، مما يتضمن الحاجة إلى طلب مبلغ إضافي – وأساسي – وكان يورد في تقريره بين الحين والآخر، في ما يشبه الخلية الزخرفية المنطوية على اهتمامات إنسانية، إشارات إلى تنامي اليأس في صفوف الفيتناميين الجنوبيين، واختتم بلنغتون في تقريره بقوله: إن موقف فيتنام الجنوبية موقف لا أمل فيه من دون المعونة التكميلية. لقد كنا قد وصلنا إلى النقطة التي لن يكون بعدها سوى خيار واحد إذا لم تتحقق المعونة التكميلية لتخفيف وطأة عار بلادنا ـ ولإنقاذ أكبر عدد ممكن من الفيتناميين:

إذا لم تأت المعونة التكميلية فعلينا أيضاً أن نفكر في طرق ووسائل لإنقاذ أكبر عدد ممكن من الفيتناميين الجنوبيين، ومثال ذلك: أليس لدينا التزام معين نحو تلك الألوف المؤلفة من الفيتناميين وعائلاتهم الذين هم موظفون حاليون أو سابقون لدى حكومة الولايات المتحدة ؟ إن تقصيرنا في مساعدة أمثال هؤلاء على الهرب سيضيف فيما أعتقد عاراً كبيراً إلى هزيمتنا في جنوب فيتنام.

وفي 30 كانون الأول 1974، في فيل، بكولورادو، وقع فورد، بتلكؤ، «صك المعونة الخارجية» وأرفقه باعتراض قوي على ما تضمن من الاقتطاعات الكبيرة من المعونة لفيتنام (والتي حملت كثيراً من الأثقال والأعباء عن طريق القيود التشريعية المفروضة على استعمال المعونة) وبات بقاء فيتنام الآن يتوقف على مقدرتنا على الحصول على المخصصات التكميلية التي وعدت بها قيادة الكونغرس.

هانوي تستأنف الهجوم

وكان مـن أكثر الجوانب اتساماً بسمة الكابوس، بين جوانـب مأساة فيتنام أن المداولات حولها كانت تنطـوي على شعور بما يشبه الطقوس الدينية: إذ كانت هذه تمثل نهايتها الخاصة، ولم تكن تتطلب علاقة بالواقع الملاحظ، وهكذا ففي واشنطن، بدأت السنة المصيرية الحاسمة، وكأن لم يكن هناك شيء فائق أو استثنائي، يحدث في الهند الصينية، حتى على الرغم من أن هانوي كانت قد شرعت لتوها في تمارين لرصف الجنود وتهيئتهم فيما يتعلق بخياراتها الخاصة بشن الهجمات الأولى من بين الهجمات المحدودة التي أمر بها المكتب السياسي، وفي منتصف أيلول استهلت سلسلة من الهجمات الحادة في أنحاء الأقاليم الجنوبية في فيتنام الجنوبية، وفي كانون الثاني 1975 اجتاحت القوات الشيوعية فووك بنه، عاصمة إقليم فـو دوك لونـغ وهي أول عاصمة إقليميـة في كل الحرب تفقد ولا تستعاد قط من قبـل سايغون، وبينما كان الهجوم على قدم وساق اجتمع المكتب السياسي ليقدر النتائج ويرسم خطوط الاستراتيجية. وكانت فووك بنه هي الحالة الاختبارية.

فـإذا صـدر رد فعل عن الولايات المتحـدة فستكون هناك بعد فرصة أمام هانـوي لتنسحب من حافة الخطر.

ولكـن واشنطـن كانت قد صممت على أن تسحب مبالغها من حليف عندما كان السكين فوق حنجرته، علـى الرغم مـن أن تأثير ذلك في البلدان المهـددة الأخرى، المرتبطة بالولايـات المتحدة، كان مقوضاً للـروح المعنوية إلى حد بعيـد. وحذرت مراراً، في المؤتمـرات الصحفية، وأمـام الكونغرس، وأمام هيئة العامليـن لـدي، من الخطـر على مصلحتنـا القومية. ومثال ذلك ما قلتـه في 3 كانون الثانـي، أمام كبار المسؤولين في وزارة الخارجية:

يترتب علينا أن ندافع عن المصلحة القومية، وليس هناك شيء آخر نستطيع عمله، وفي هذه الجلسة من جلسات الكونغرس لانزمع أن نغدو ونروح، هنا وهناك، نقلّب أكفنا متحسرين، وإنما نزمع أن نعبر عما نعتقـد أنـه يمثل المصلحة القومية، وإذا حظينا بشيء من حـرارة المشاعر من جانب الكونغرس، فسوف نقبلها، فلندع الكونغرس يعارض، وإذا بدأنا بأنصاف الحلول أو الحلول الوسط، وشرعنا في الرقص هنا وهناك فعلينا السلام.

لـم يكن الكونغرس مستعداً للتصرف بسرعة، وليقول أقل ما يقال، وهكذا انحدرت القضية إلى حيث يمكـن أن تتوفر إجـراءات أخرى لمقاومة تحرك فووك لونغ، وتكرر النمـط السابق وكانت الحماسة جد قليلة من أجل مبلغ تكميلي، بل كان هناك الآن ما هو أقل منها من أجل الأشكال الأخرى من المعونة، وكان من حسن الحظ أنه كان هناك، على الأقل فرد واحد في الفرع التنفيذي يشاطرني وجهة نظري الأساسية، وتصادف أن يكون هذا رئيس الولايات المتحدة وبتأثير ضغطٍ من وسائل الإعلام وبحَثٍّ من هيئة العاملين

القريبيـن منـه لفك الارتباط بفيتنام (وبي)، وقد تنكر له كثير مـن زملائه السابقين في الكونغرس، ظل فورد ثابتاً وهادئاً وكنت دأبت، قبل كل اجتماع فاصل بين إدارتين، على مراجعة الأمور معه لأتأكد من أنني أعكـس وجهـات نظره، مثلما فعلت فـي 7 كانون الثاني قبل اجتمـاع WSAG لمعالجة هجوم فوووك لونغ، وكان جواب الرئيس موجزاً وحاسماً:

كسينجـر: لدينـا اجتمـاع WSAG حول فيتنام، وأنا أخطـط لاتخاذ خط حـازم وأفترض أنك مهيأ لطلب مبلغ تكميلي .

فورد: بالطبع

ومرة أخرى، في 8 كانون الثاني، عندما سألت فورد عن الإجراءات العسكرية التي نوقشت في اجتماع WSAG، أجاب قائلاً : «أعتقد أنه يفترض أن نفعل ذلك من سوء الحظ أن الخزانة كانت خالية في الواقع عندمـا تحولت المناقشـة إلى الإجراءات التي تتخذ لكي نظهر لهانوي أننا ننظـر إلى إجراءاتها على أنها تنطـوي على خطورة متزايدة، وكانت لائحة المراجعة الخاصة بوزارة الخارجية أقرب كثيراً إلى أن تظهر عجزنـا منها إلـى أن تمنح هانوي فترة توقف، وتضمنت إجراءات تبعـث الرهبة، كالنداءات الموجهة إلى موسكـو وبكيـن ومجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (الذي كان فيـه، بالطبع، لموسكو وبكين حق الفيتو) والاحتجـاج على الأطـراف والبلدان الأخرى، الأحد عشر التي وقعت على اتفاقية باريس بصفة ضامن في 2 آذار 1973، والمؤتمر الدولي حول فيتنام.[❖]

ولـم يكن أي من هـذه الإجـراءات يفسح المجال لأدنـى إمكانية لوقـف الهجوم الفيتنامـي الشمالي الـذي يلـوح في الأفق، وصرف الكارثة عن فيتنـام الجنوبية، وأرسلنا بالفعل برقيـة سيارة موجهة إلى كل المشاركيـن غيـر الفيتناميين في المؤتمر الدولي حول فيتنام، كما أرسلنـا مثل هذه البرقية إلى الأعضاء الأربعـة فـي اللجنة الدولية للرقابة والإشراف (كندا، هنغاريـا، إندونيسيا) وأسفر هذا عن عدد قليل من الأجوبـة المنطوية على محاولة التملص والمراوغة، ولكن معظمهم التـزم الصمت. الأمر الذي يمكن أن أكون أكثر ارتياحاً حياله إذا استطعت أن أصفه بأنه جواب المحرج. وكنت قد تعلمت من الخبرة والتجربة أن هانوي لن تلقي بالاً إلا إلى الإجراءات التي يمكن، من وجهة نظرها أن تؤثر في الوضع الميداني، ونحن نعـرف الآن، منـذ المذكرات، مـدى العناية التي كان قادتهـا يدرسون بها كل تحـرك أمريكي عسكري أو سياسـي، ولم تكن الإدارة تنوي انتهاك قـرارات الكونغرس التي تحظر أي تورط أمريكي عسكري مباشر، ولكـن مـع افتراض وجود الاشتباه القريـب، المتسم بسمة جنون الارتياب عند هانـوي، كان هناك فرصة

(❖) كان هناك 12 مشاركاً: الولايات المتحدة، وفرنسا، والصين، والمملكة المتحدة، وكندا، والاتحاد السوفييتي، وهنغاريا، وبولندا، وجمهورية فيتنـام الديمقراطية (فيتنام الشماليـة وجمهورية فيتنام –فيتنام الجنوبية– والحكومة الثورية الإقليميـة لجمهورية فيتنام الجنوبية (أي حكومة شيوعية جنوبي فيتنام).

ضئيلة تتمثل في أن تحريك بعض قواتنا بحيث تقترب من الهند الصينية يمكن أن يحمل هانوي على إعادة النظر، وزودتنا وزارة الدفاع بلائحة من الإمكانات المتاحة:

❖ زيادة النشاط الاستطلاعي فوق فيتنام.

❖ الإيعـاز إلى حاملة الطائرات (أنتربرايز) التـي كان برنامجها يقضي بالتحرك من خليج السوبيك في الفيليبين، إلى المحيط الهندي، بتحويل مسارها قليلاً، باتجاه خليج طونكين.

❖ نقـل الطائـرات المقاتلـة، ف 4 مـن الفيليبيـن وتايلاند، وطائـرات ب52 من الولايـات المتحدة إلى غوام.

وحبـذت كل هـذه المقترحات محتجـاً «بأن تجربتي تشيـر إلى أننا عندما نتحـرك على خوف ووجل، نخسر، وعندما نكون شجعاناً، نكون ناجحين».

قبـل WSAG توصياتـي، ووافق فورد على اللائحة بأكملها، ولكن قبـل أن ينفذ أي نقل، نكصت وزارة الدفاع على عقبيها في وجه هجمات الكونغرس وهجمات وسائل الإعلام المحتملة، وكانت معركة الميزانية السنويـة فـي الكونغرس قد باتت مطروحة علـى بساط البحث ـ وهذه المـرة بكونغرس جديد موالٍ لماك غوفرن فمزاج البنتاغون بحالة تسمح بإنفاق أي رأسمال إضافي على فيتنام، وكان إما أن تجتر قدميه في موضـوع تنفيذ توصيـات WSAG، وإما أن يحول المسؤولية عنها إلـى وزارة الخارجية، وكما كان متوقعاً، احتجت هانوي على الزيادة في الطلعات الجوية الاستكشافية، بحكم كونها خرقاً لاتفاقية باريس التي كانت كل فقرة منها تنتهك انتهاكاً فاضحاً على مدى شهور، وضجت أصوات وسائل الإعلام والكونغرس مطالبة بالتوضيح حيث أعلن البنتاغون على أثر ذلك أن وزارة الخارجية ستقدم بياناً بالخطوط الأساسية. وبذلك حول المسؤولية أو الملامة إلى جهة أخرى وأوحى بأنه يغسل يديه من المشروع بأسره، وفي النهاية اندفع شليزنغر، ودافع في 14 كانون الثاني 1975 دفاعاً قوياً عن الطلعات الاستكشافية، وعندئذ كانت هانوي قد تعلمـت مـا كانت في حاجة إلـى أن تتعلمه : وهو أن استجابتنا كانت تمثل الحـد الأقصى الذي كنا قادرين على فعله، وليست مجرد استهلال مناورة توحي بمقاومة ذات تصميم.

أمـا نشر مجموعة حاملات الطائرات في خليـج طونكين فلم يحدث نهائياً، ولم تكد حاملة الطائرات (أنتربرايـز) تغـادر خليج سوبيك في طريقها إلى المحيط الهندي ـ وقبل تلقي الأوامر بالتحول إلى خليج طونكين ـ حتى شرعت هانوي في قرع طبول الدعاية مدعية وجود استفزاز أمريكي، وكنا قد غدونا، حتى الآن مطلعين كل الاطلاع على خصائص التكتيك الفيتنامي الشمالي: سوف تبتزنا هانوي لنطمئنها بصدد الإجـراءات التي كانت تخاف منها بالفعل، ثم تستخـدم الطمأنينة لتظهر عجزنا للفيتناميين الشماليين، وكان البنتاغـون مهتماً أشـد الاهتمام بتفادي غضبة الكونغرس وبلغ من تلكئه في إظهار إجراءاته أنه أمر حاملة الطائرات (انتربرايز) أن تواصل المسير في مسارها الأصلي، ولم يعلم البلاط الأبيض بأن هناك

تغييراً في الإشارات (غير مفوض به من قبله) إلا بعد أن عبرت الحاملة انتربرايز مضيق مالقة، وعندئذ كان تحويل وجهة الحاملة خليقاً أن يزيد في جسامة عاصفة النيران.

وعرضت وزارة الدفاع أن تقدم بدلاً من تلك الحاملة، حاملة أخرى ـ هي كورال سي ـ من أجل المهمة الخاصة بخليج طونكين، ولكن من الواضح أننا فقدنا القدرة على تحريك حاملات طائرات في جنوب شرقي آسيا من دون إضعاف موقفنا الجدلي. وحين أصبحنا محرومين من الخيارات العسكرية ذات الخطورة والشأن، حتى من أجل المناورة الدبلوماسية، أخذت أحث فورد في 13 كانون الثاني على قلب كل عمليات إعادة الانتشار الأخرى، رأساً على عقب:

ما زالت أعتقد أن التحركات في جنوب شرقي آسيا عمل صائب، ولكن وزارة الدفاع تعارضها إلى حد احتمال أن تسرب أخباره وتحملنا مشكلة هائلة مع جماعة الكابيتول (مبنى مجلس الشيوخ) ثم إنك ستكون مضطراً إلى أن تعلن عن ألف مسألة لن تقدم عليها، وهذه هي أسوأ الطرق للتعامل مع الفيتناميين الشماليين.

وحتى هيئة العاملين في البيت الأبيض أصيبت بعدوى المزاج السائد أي مزاج التنازل والتراجع، وكان عدد من أصدقاء الرئيس الجديد يحرضون خيالين جامحين، سبقت الإشارة إليهما: وهما أنهم يستطيعون أن يحصلوا، بطريقة ما، على فضل لفورد في إنهاء الحرب الفيتنامية، وكانوا على أقل تقدير، يسعون إلى «حماية» رئيسهم من الارتباط الوثيق إلى حد مفرط بالكارثة الوشيكة، ولم يكن أي من الخيارين موجوداً في الواقع. « أما الفضل » في إنهاء الحرب الفيتنامية فلم يكن من الممكن كسبه هناك أية طريقة أمام فورد ليتجنب اللعب بالورقة التي جعلها القدر في يده مهما كان ذلك بعيداً عن العدل، ومما يعد من مكرمات الرئيس الخالدة ويحسب لصالحه ـ بالطريقة التي يقيس بها الفضل التاريخ، لا المعاصرون ـ أنه لم يستسلم لإغراء الاعتقاد بأن هناك مخرجاً سهلاً، فقد ظل حازماً في رفضه أن يدنس شرف منصبه بالتواطؤ مع هانوي على تدمير حليفتنا.

أما موقف هيئة العاملين في البيت الأبيض التي وصلت إليه حديثاً فقد لخصه رون نيسين الذي كان قد أدخل بصفة سكرتير صحفي بعد أن كان اختيار فورد الأول قد استقال بسبب عفوه عن نيكسون، وفي هذه المذكرات، يصف نيسين «خيالاً جامحاً» رائعاً من أخيلته يستفاد منه أن سوف يعلن في يوم من الأيام نهاية الحرب الفيتنامية عن طريق بيانات الصحفية اليومية.

لقد أراد هو (عضو هيئة العاملين) المسؤول عن التوجيه الصحفي، أن يفزع الفيتناميين الشماليين إلى حد ما أو يدعهم، على الأقل يمارسون التخمين حيال النوايا الأمريكية، وأجبت بقولي: إنني لا أعتقد أن هانوي وضعت خططها وفقاً لأجوبتي..

.. ووعدت نفسي بأنني سأقاوم جهود مجلس الأمن القومي لاستخدام بياناتي الصحفية لإثارة فزع فيتنام الشمالية، لأن أمثال هذه التهديدات يمكنها أيضاً أن تثير فزع الأمريكيين، وهو أمر لاحاجة بنا إليه.

ومـع وجـود هذا الموقـف لم يكن مـن المفاجئ إخفـاق البيانات الصحفيـة الرسميـة الصادرة عن واشنطـن في الوصول إلى تصميم أو حتـى إدراك أن الهجوم الشيوعي الكبير كان يجري على قدم وساق. ففـي 7 كانـون الثاني ـ وهو اليـوم الذي سقطت فيه العاصمة الإقليمية فيوك لونـغ ـ نفى المتحدث بلسان وزارة الدفـاع، بحزم أن يكون ارتفاع مستوى النشـاط العسكري الشيوعي كان يشكل «بداية هجوم رئيسي على نطاق البلاد بأسرها» وفي اليوم ذاته أنكر نيسين وجود أية نية من جانب الإدارة الأمريكية للالتفاف حول الحظر المفروض على القتال الأمريكي في الهند الصينية.

وعلـى الرغم من أن نيسين كان يعتقد العكـس، إلا أن الفيتناميين الشماليين كانوا يراقبون. ويستفاد مـن مصدرين عسكريين فـي فيتنام الشمالية أن رئيـس الوزراء فام فان دونغ أدلـى بملاحظة بارعة في اجتماع للمكتب السياسي في نهاية عام 1974 مفادها أن واشنطن بلغ من شللها أننا «حتى لو عرضنا على الأمريكيـن رشوة لتتدخل مرة أخرى فلـن يقبلوها». وعلى هذا فقد استنتج أن الحملة في الجنوب ينبغي استئنافها. وينقل مصدر فيتنامي شمالي آخر الاستنتاج المماثل عن زعيم هانوي الشيوعي لي دوان الذي أقنـع المكتب السياسي بأنه بالنظر إلى «موقف العدو الـذي يتطرق إليه الوهن» ينبغي تعديل خطة هانوي الأصليـة المبنية على حملة تستغرق عامين، هما 1975 ــ 1976 لتتضمن خياراً آخر وهو اغتنام «الفرصة السانحة» «للفوز» و«تحرير الجنوب على الفور في عام 1975».

نهاية الطريق

كانـت ورقتنا الوحيدة للحيلولة دون انهيار سايغون هـي المخصصات التكميلية فبدونها كان محكوماً علـى جنـوب فيتنام بالمصير المحتوم، كما كانت كل الأطراف توافق على ذلك، ولكن إذا تم تأخير المبلغ التكميلي وقتاً أطول بكثير فسيكون قد فات الأوان لعكس مسار الانحدار نحو الكارثة.

ولم يكن لدى أحد، بالطبع أي فكرة حول مسألة؛ هل سيعد مبلغ 300 مليون دولار كافياً، وكان لابد من إرسال لائحة بالمال المطلوب يتم تمريرها عبر مرحلتين في كل من مجلسي الكونغرس : أولاهما التفويض وتليها عمليات التخصيص الفعلي، وتمت معالجة هذه القرارات من قبل لجان منفصلة، وتطلبت شهادات منفصلـة، وكانـت عرضة لعمليـات تصويت منفصلة، ولـم تستطع لجنة المخصصـات أن تتجاوز المبلغ الـذي تـم التفويض به، بل كانت تستطيع خفضه فحسب، وكان فـي وسعها أن تعود فيما بعد إلى اقتطاعها إلى أن تبلغ هذه الاقتطاعات الحد المفوض به أي ذلك المبلغ الإضافي الذي يطلق عليه اسم التخصيص التكميلي، و إذا أرادات الإدارة زيادة أكبر فعليها أن تطلب من لجنة الخدمات المسلحة تفويضاً جديداً.

وتمسـك البيروقراطيون برقم الثلاث مئـة مليون، في المقام الأول سوف بجنته عملية التفويض، وفي الحقيقة لم يكن هناك أساس معقول لهذا، وكنا طلبنا 1,4 مليار دولار (وهو رقم يمثل تخفيضاً قدره 700 مليـون دولار عـن مستوى العام الفائـت) وكانت لجنة الخدمات المسلحة قد فوضـت بمبلغ 1 مليار دولار،

وكانـت لجنـة المخصصات قد خفضت المبلغ بمقـدار 300 مليون أخرى، وكان هـذا الاقتطاع الأخير هو الذي كنا نحاول استعادته، ولما كان البنتاغون متلكئاً في الشروع في عملية التفويض من جديد فقد أعلن أن مبلغ الثلاث مئة مليون هو ما كانت تمس الحاجة إليه على وجه الدقة، وأخبرت اجتماعاً لهيئة العاملين في وزارة الخارجية في 20 كانون الثاني 1975، بما يلي:

أنـا ألفـت الانتبـاه، ببساطة إلى التزامن المدهش، وهـو أن الرقم الذي لا ينسجم مـع شيء طلبه أي امرئ في أي يوم من الأيام والذي انبثق بطريق المصادفة من عملية التفويض، في وقت من أوقات الهدوء، يفترض أن يكون على وجه الدقة هو الرقم الذي تحتاجونه في فترة (شن الحرب المتزايد).

أمـا ثيـو الذي بات الآن يائساً فناشد فورد في رسالتين مؤرختين في 24 و 25 كانون الثاني واحتج على الاستيلاء على فو دوك بينه باعتباره الخرق الوقح إلى أقصى الحدود والأكثر جسامة لاتفاقية باريس، بلا ريب « ووصف حدة هجمات الفيتناميين الشماليين التي يساندها » الاستعمار الكبير للقوة النارية والدروع وقال إنه على النقيض من ذلك، يترتب على قوات فيتنام الجنوبية أن تحسب حساباً لكل قنبلة تطلقها لكي تجعـل ذخيرتهـا تدوم كما، ذكرّ ثيو فورد بإلحـاح بالتطمينات الخاصة لاستمـرار المعونة الأمريكية التي حملته على التوقيع على اتفاقية باريس.

وأطلقـت هاتـان الرسالتان الشرارة لقرار فـورد بنقض حكم هيئة العاملين فـي البيت الأبيض الذي كان عارضـ المبلغ التكميلـي، وركز جهده في مقابلة تلفازية مع جون تشانسيلـور وتوم بروكاو، في الثالث والعشريـن من كانـون الثاني، على اجتماع مع قادة الكونغرس في 28 كانـون الثاني، وبلغ ذروة هذا الجهد بتعليمـات حازمة إلى مجلـس الوزراء في 29 كانون الثانـي وقدم الطلب المرسل إلـى الكونغرس تفاصيل مزروعة حول استفحال الخطر الفيتنامي الشمالي وأوجه العجز الفيتنامي الجنوبي وذكر فورد الكونغرس بقوله:

لقـد أبلغنـا الفيتناميين الجنوبيين، نتيجةَ أننا لـن ندافع عنهم بقواتنا العسكريـة، ولكننا سنزودهم بالوسائـل للدفـاع عن أنفسهم، كما سمحت بذلك الاتفاقية، ولقد قـام الفيتناميون الجنوبيون بأداء مؤثر حين قبلوا هذا التحدي.

وناشد مجلس الوزراء أن يوحد صفوفه:

لقـد أرسلت بالأمس مبلغاً تكميلياً إلى الهند الصينيـة، وأريد أن يكون مفهوماً بوضوح أن هذه الإدارة تقـف بوضـوح وحزم وعلى نحو لا يقبـل الالتباس، وراء هذا فنحن نريد هذا وسنقاتـل من أجله، وأريد أن يكـون كل منـا وراءه، وأعتقد أنـه من الأمور ذات الأهمية الحيوية، ومن الصـواب، ولا أريد أي إساءة فهم بصدده. كنت أوازن كلماتي مع قيادة الكونغرس في 28 كانون الثاني.

يجـري الحديـث في الصحافة عن التزامات جديدة ونحن نتحدث عن المحافظة على التزام قديم، و إذا كنـا لا نزمـع أن نفعل ما يكفي فهناك سؤال عمـا إذا كان ينبغي لنا أن نفعل أي شيء على الإطلاق، ولا يمكن أن يعتد بحجة عن إعطاء أقل مما هو كاف من المعونة، وهي المعونة التي أعطى الكونغرس تفويضاً بها، فهل نريد أن نجازف بإخفاق كل ما تم حمله مع التضحية بخمسة وخمسين ألف رجل وبالدم والمال، بسبب الافتقار إلى ما يكفي من المال الذي يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم؟

.. لقـد كان الغرض الغالب للمناقشة القومية هو تحريـر قواتنا العسكرية من الالتزام وعودة أسرانا، ولـم يكـن هناك اعتراض على مبدأ دعم حكومـة كانت مهيأة للدفاع عن نفسهـا بجهودها الخاصة، وهم يدافعون الآن عن أنفسهم لقد وافق الفيتناميون الجنوبيون أن يخوضوها وحدهم على أساس أن في وسعنا أن نعطيهـم المـال الكافي للقيام بهـذا، ولديهم فرصة للدفاع عن أنفسهم وهـذه الفرصة موجودة، وهذه الفرصة تتوقف على المعونة الأمريكية.

ولـم يكـن في المسألة جـدوى، وكان الكونغرس بعيداً عن التأثيـر بأمثال هذه النـداءات وقال زعيم الأغلبيـة في مجلس الشيوخ، مايك مانسفيلد: إنه سيصوت ليـزود المبلغ التكميلي لأن «أصدقاءنا هم في هذه البلاد، لا في جنوب شرقي آسيا، أو في الشرق الأوسط» أما المتحدث كارل ألبرت الذي هو في العادة من أقوى المؤيدين لسياسة الإدارة، فلم يدع حتى مجرد أن قراره يتمتع بأي أساس له شأنه : «لن أقول ما سوف أفعله، ولكن حين يكون كل أتباعكم ضدكم، ماذا تستطيعون أن تفعلوا ؟» وأما زعيم الأقلية في مجلس الشيـوخ، هيوج سكوت فبذل جهـداً شجاعاً لدعم الرئيس، ولكن الكتلة الكبرى من التعليقات كانت تتراوح بين العداء والوقوف على الحياد.

وكان الموضـوع المفضـل عند أولئك الذين عارضوا المبلغ التكميلي هو أن الإدارة ينبغي لها أن تبحث عـن حـل سلمي بـدلاً من الحل العسكـري، ولكن كبار السن مـن الثوريين في هانوي لم يكـن لديهم شيء سوى الازدراء للفرضية القائلة إن الدبلوماسية تعد بطريقة ما شيئاً منفصلاً عن الاستراتيجية، ولم يكن مـن الممكن أن يحرموا من انتصارهم النهائي عـن طريق العمليات البارعة أو النظريات الأكاديمية لحل الصـراع، وإذا لـم يكن في وسعنا أن نؤثر في الوضع على الأرض فلن تكون لدينا فرصة لإحداث أي تأثير في هانوي عن طريق الدبلوماسية.

وجاءت معظم الهجمات الداخلية من أوساط مألوفة الآن، ولكن كان ما فاجأنا مفاجأة هائلة، وأحدث لدينـا خيبة أمل هائلة هو أن قضية فيتنام تخلى عنها السناتور هنري جاكسون، وهو السوط المرفوع على الانفراج في العلاقات الدولية وناقد إدارة فورد على ما يزعمون من ليونتها حيال الشيوعية، وقرر جاكسون الذي كان ترشيحه الوشيك للرئاسة وانتخاباته الأولية في نيويورك وكاليفورنيا يلوحان في الأفق، أن يسلم بالهزيمة وقرر وهو يعلن معارضته للمبلغ التكميلي:

لقد صوت لصالح اقتطاع هذه الملايين الثلاث مئة في العام الماضي ولن أصوت لصالح إعادتها في هـذا العـام، إذ لابد أن تكون هناك حدود ولابد أن يكون هناك سقـف ولابد أن تكون هناك نهاية. ذلك أن مشكلات جنوب شرقي آسيا لن تحل بزيادة 300 مليون في الذخائر.[24]

وعندمـا تخلى الحرس التقليدي المناوئ للشيوعية، عن الهند الصينية، أصبحت الفجوة بين وجهات نظر الإدارة والكونغرس أعمق من أن تردم ولكي يكون للمبلغ الإضافي أي تأثير في الأرض الفيتنامية، كانت تمسـ الحاجـة إلى إقراره في آذار بحيث يتم توفير المال اللازم للمستهلـكات على الفور. وكان التأخير ـ كلمـا طال ازداد تدمير معنويات ـ فيتنام الجنوبية مـن جراء أوجه النقص في الوقود والذخائر وتصاعد الخسائر البشرية، وتعرض الجنوب لخطر التفكيك.

وفـي هـذه الظروف ما عـادت المسألة المطروحة أمـام ثيو هي كيفية الدفاع عن بـلاده، بل أصبحت المسألـة مـا الذي يستطيع أن يتخلى عنه ومع ذلك فقد كانت كل إعـادة للانتشار في مناطق يفترض أنها أكثر قابلية للدفاع عنها لا تجدي إلا في زيادة بواعث هانوي لزيادة حدة هجماتها، ومحاولة توجبه الضربة القاضية، وفي شباط قرر ثيو، وهو مازال في انتظار المبلغ التكميلي أن يحرك وحدات الاقتحام المحمولة جـواً من المرافعات المركوبـة إلى دانانغ، إلى طول الساحل على أن سلم التحـرك سوى المسألة بالنسبة لهانـوي، وأطلق لها شرارة الإشـارة من أجل هجوم شامل وتولى رئيـس أركان الجيش، الجنرال فان تيان دونـغ، قيـادة الجيش باعتبـاره قائداً ميدانياً فـي الجنوب، ويستفاد مـن مذكرات دونـغ أن الخطة كانت تقتضي بأن يتم القتال في المرتفعات المركزية خلال فصل الجفاف في عام 1975 ثم يجري التحرك إلى المنطقة القريبة من سايغون من أجل السنة التالية».[25]

أفضـت ثقة هانوي المتنامية بنفسها إلى عرض سياسي جديد، وهللت لهـا على الفور حركة السلام علـى أنهـا «معتدلة» غير أنها بدت جد مألوفة لنا نحن معشر الرعاة القدماء للمفاوضات. لقد كان البديل القديم المتمثل في «إنهاء تورط الولايات المتحدة وتدخلها، وتشكيل إدارة جديدة في سايغون سوف تنفذ اتفاقيـة باريـس» وكنت قـد سألت لي دول ثو، قبل ثـلاث سنوات عما يقصد بتلك العبـارات ذات الأسرار المقدسـة، وكان قـد اقترح علاجاً بسيطاً: وهـو أن يقتل ثيو، وبدا أنه غير قادر علـى فهم لماذا أغضبني اقتراحـه وفـي هذه الأثنـاء. ولما كان الكونغرس لا يظهر عجلة في صـدد التجاوب مع طلـب فورد مبلغاً تكميليـاً، فقـد باتت هانوي مقتنعة بأنها ما عادت في حاجة إلى التظاهر بالرغبة في الحل السياسي، وفي الواقع فإن حركات جنوب فيتنام العكسية الارتدادية، والتي كانت بعيدة عن أن تحفز الكونغرس إلى الفعل، أنشـأت حلقـة مفرغة: فكان الكونغرس كلما أمعن في فك ارتباطـه بفيتنام ازداد تراجع سايغون المدمرة معنوياً، وبازدياد مظهر سايغون ضعفاً، يزداد إصرار المعارضة في الكونغرس على الحاجة «إنهاء الحرب» وهذا تعبيرها الملطف عن عملية خنق حلفائنا.

وقـد قام السيد روبرت ثومبسون الخبير البريطاني في مواجهـة العصيان، بزيارة لجنوبي فيتنام في شبـاط وأبلغ الرئيس فـورد أنه إذا أصبحت هانوي شجاعة بما يكفي للـزج بفرقها الاحتياطية في شمالي خط ترسيم الحدود (DMZ) الذي يفصل بين جنوبي فيتنام وشمالها:

سوف يخسر الجيش الفيتنامي الجنوبي، على الأقل، الفرقتين الأولى والثالثة من قوات المارينز المحمولة جـواً وسينهـار وستكون الحرب منتهية... والقضية كلها تتوقف على القيود وأشكال الحظر التي ما زالت تعمل عملهـا بالنسبـة لهانوي... والقـرار يرجع في جزء منه إلـى الكونغرس والشعب الأمريكـي... أما هي (يعني سايغون) فمستعدة لمواصلة القتال وللصمود بنجاح إذا ما أعطيت الحد الأدنى من الدعم الكافي في تشجيع شعبهـا ولردع هانوي، بحيث يمكن إنهاء التورط الأمريكي الطويل، ولكن إذا لم يأت الدعم عما قريب فسوف تنزل فيتنام الجنوبية إلى حلبة القتال فتجر بذلك الخزي والعار الخالدين على الولايات المتحدة.

وكانـت المشكلة هي أن معظم المجموعات ذات الأصـوات والجلبة داخل الكونغرس، ووسائل الإعلام وهي المجموعات التي تضع الشروط للمناقشة، وتشجب بضراوة، وجهة نظر معارضيه ـ كانت ترى نقيض هـذا: كانت تـرى العار في أن يكون لها أي ارتبـاط مع حلفائنا في سايغون، ووصلـت حركة الاحتجاج إلى موقفهـا النهائـي: وهو الحملة الهادفـة إلى حرمان فيتنام غير الشيوعية (ولاوس وكمبوديا) من وسائل المقاومة وتم تلخيص وجهة النظر هذه في مقالة افتتاحية في صحيفة لوس أنجلوس تايمز في عدد 6 آذار 1975 ــ وكانت المقالة تحث لا على مجـرد رفض المبلغ الإضافي المقترح، بل تحث أيضاً على اقتطاعات جريئة في المعونة العسكرية بحيث تقل مستوى 700 مليون دولار التي سبقت الموافقة عليها.

إن العنصـر الأساسـي يجب أن يحدد مستـوى المعونة العسكرية لفيتنام، بحيـث يخدم باعثاً لحركة سياسة، وحل وسط، وتنازل من قبل نجوين فان ثيو، ولا يمثل تشجيعاً له ليعزز حكمه الفردي.

وكان الكونغرس يلجأ إلى التسويف والمماطلـة واستهلكت جلسات الاستماع الجزء الأكبر من شباط، وخلال هذه الفترة كان الهجوم الفيتنامي الشمالي جارياً على قدم وساق، وعند تلك النقطة خرج السناتور همفري بفكرة بعثة لتقصي الحقائق مؤلفة من مؤيدي كلا الحزبين إلى فيتنام، على أساس نظرية مؤداها أنهـا ستتعلم ما يكفي لدعـم برنامج للمعونة المسؤولة (وتبدد المزيد مـن الوقت في هذه العملية) وتقبل فـورد اقتـراح همفري بعد شـيء من التلكؤ. وكان يخشـى ألا يوجد أحد من كبار الشيـوخ الذين اقترحهم همفـري يكون راضياً بأن يقترن اسمه ببعثة مثيرة للجدل كهـذه، أما صغار أعضاء مجلسي الشيوخ فليس مـن شأنهـم أن يعطوا الوزن الضروري لها، ولا أن يكونوا مستعدين للمجازفة بالتعرض لهجوم مفاجئ من قبل وسائل الإعلام.

على أن الحوادث أيدت هواجس فورد إذ رفضت قيادة مجلس الشيوخ المصادقة على المشروع ورفض كبـار الأعضـاء أن يذهبوا عندما حـاول البيت الأبيض أن ينظـم رحلة خاصة به، ولحسابـه وبعد أسابيع

مـن المناقشـة لـم يشرع في الرحلة سـوى شيخ واحد – هو ديـوي بارتليت من أوكلاهومـا يعرف عنه أنه مـن المارقيـن وسبعة مـن النواب التمثيليين بمـن في ذلك بيلـلا أبتسوج، وهو مـن الناشطين في حركة احتجاجيـة، وبول ماكلوسكي الذي كان، منذ عهد بعيد مـن المعارضين لدور أمريكي في الهند الصينية، ودونالـد فريزر الرئيس السابق لأمريكيي جماعة الدفاع الليبرالـي من أجل العمل الديمقراطي، ولم يكن مـن المفاجئ أن وفد الكونغرس لم ينجز شيئاً سوى تبديد عدد من الأسابيع كانت فيتنام تنحدر فيها إلى هـوة الكارثة، وأخذ السناتـور فرانك تشيرش، من إيداهو، الذي كان له تاريـخ طويل في معارضة سياسة أمريـكا فـي الهند الصينية، يساند فورد في اقتراح حل وسـط، كان الرئيس قد صاغه في مقابلة صحفية مـع شيكاغـو تريبيون، ويتمثل في منح أجـل نهائي من عامين أو ثلاثة ستكون جنـوب فيتنام بعدها قادرةً علـى الاستقـلال بنفسها والوقوف علـى قدميها بمفردها، ولم أكـن أحب فكرة منح الأجـل النهائي لأنها كانـت تجعـل معونتنـا تبدو وكأنها عمل خيـري بدلاً من أن تمثـل سياسة معينة، ولم أكـن أستطيع أن أرى كيـف كان يمكننا ونحن مرتاحو الضمير أن نطلب في فيتنـام الجنوبية، وهي تحت وطأة الهجوم الشامل، ما لم نطلبه قط من حلفاء أقل عرضة للتهديد إلى حد بعيد وكنت أخشى من المساومة والمماحكة اللتين لا مناصـ منهمـا حول المبلغ الملائم وهو الواقع المتمثل فـي أن مجلس كونغرس واحد لا يستطيع أن يلزم خلفـه ولكـن سفيرنا في سايغون، غراهام مارتن كان يحبذ منـح أجل نهائي لكسب الوقت، وكان فورث قد تقبـل الفكـرة بسرور، وفي النهاية أيدت، متلكئاً، منح أجل نهائي في مؤتمر صحفي بحكم كون ذلك « ثاني أفضل الخيارات».

ولـم نكد نقبـل المبدأ حتى تحول منح الأجل النهائي إلى حيلة أخـرى لقطع كل المعونات عن سايغون وكنـا نفكر فـي حدود بضعة مليارات مـن الدولارات. وعرضـ تشيرش منحة لمرة واحـدة لا تتجاوز على الأكثـر، مبلـغ 750 مليـون دولار. وهـو أقل مما كنا نـرى أن الحاجة تمسـ إليه من أجل عـام واحد. ولكي نحصـل علـى ذلك المبلغ سوف تقتضـي المسألة أن تنطلق العملية المتعلقـة بالميزانية في كل مجالاتها، وهو الأمر الذي سيتطلب شهوراً. وعندئذ سنكون قد وصلنا إلى نهاية آذار، وكانت الأحداث تأخذ طريقها نحو المأساة بزخمها الخاص.